الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان
كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية

قسم: علم الآثار

مذكرة لنيل شهادة الماجستير

تخصص صيانة وترميم المباني الأثرية والمعالم التاريخية الموسومة بـــ:

الإضافات والتعديلات المعمارية بالجامع الكبير بتلمسان في ظل الإحتلال الفرنسي

-دراسة توثيقية-

إعداد الطالبة:
خطاب زينب

تحت إشراف:
أ. د.ة مهتاري فايزة

أعضاء لجنة المناقشة

د. رابح فيسة	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د.ة. مهتاري فايزة	أستاذة التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا ومقررا
د. يحياوي العمري	أستاذ محاضر (أ)	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
د.ة. دحماني صبرينة	أستاذة محاضرة (أ)	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2016-2017

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى الوالدين الكريمين

وإلى نور عيني ومهجة قلبي ابنتي فاطمة الزهراء

إلى رفيق دربي في الحياة زوجي الغالي

وإلى عائلتي وعائلة زوجي الكريم

وإلى كل من يعرفني، كل باسمه

كلمة الشكر:

أشكر الله عز وجل على تمام هذا البحث وتوفيقه لنا لإخراجه على الشكل الذي هو عليه.

قياسا على أن من لم يشكر الناس لم يشكر الله، أتقدم بأسمى عبارات الشكر للأستاذة الدكتورة، مهتاري فائزة على إشرافها على هذا العمل أولا، وصبرها ثانيا، ورحابة صدرها وما أبدته لنا من نصائح، كما لا يفوتني في هذا المقام أن أشكر الأستاذ الدكتور الرزقي شرقي على نصائحه والخطة التي قدمها لنا كونه المشرف الأول لهذا العمل.

كما أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير للوالد والوالدة الكريمين اللذان ساعداني في إنجاز هذا العمل كل على طريقته، وأتقدم بالشكر إلى كل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل من أساتذة وزملاء وخاصة ابنة العم خطاب زينب على مساعدتها، وأشكر اللجنة المقترحة لمناقشة هذا العمل.

مقدمـــــة

يعد التراث المعماري إرثا حضاريا في المجتمع، إذ أن المجتمعات تحافظ على هويتها من خلال الحفاظ على موروثها المعماري، وعدم المساس لجزئياته التي يعتبرها البعض غير مهمة إلا أنها تعد جوهرا أصليا تبرز من خلاله القيم الفنية والجمالية والتاريخية لهذه المخلفات المادية، رغم تنوعها المعماري واختلاف وظائفها الحيوية داخل النسيج العمراني.

تتنوع المخلفات المعمارية من مدنية ودينية إلى عسكرية، لكل نوع منها دوره في المجتمع، ومكانته لدى ساكنته، الأمر الذي يوفر له العناية والاهتمام لمن يتوارثونه، والطمس والتدمير لمن يريدون القضاء على الهوية ونذكر هنا على سبيل المثال لا التخصيص والحصر الحركة الاستعمارية، التي يسميها البعض بحركة التدمير والقضاء على كل أسس ومقومات المجتمع.

من بينها الاستعمار الفرنسي الذي احتل الجزائر، وساهم في القضاء على جزء كبير من الموروث الأثري الجزائري سواءا كان ثابتا من خلال المعارك، أو منقولا عن طريق السرقة والنهب، لكن لا يمكن أن نغفل الانعكاسات الإيجابية على الآثار الجزائرية من طرف المستعمر رغم قلتها ومحدوديتها إذ تعد على أطراف الأصابع، وخاصة تلك البحوث والأعمال الميدانية لباحثين مستشرقين التي اتسمت بالموضوعية في التعامل العلمي والتدخل الميداني.

على هذا الأساس جاء اختيارنا لموضوع الدراسة حول التدخلات الفرنسية على الجامع الكبير بمدينة تلمسان الذي يعتبر معلما مهما وسرحا إشعاعيا بارزا في قائمة التراث المبني الجزائري بصفة عامة، وحاولنا أن نركز على أهم التدخلات من الناحية التوثيقية من أجل إبراز أهم ما لم يتطرق له من جوانب هذا الموضوع من طرف الباحثين المعاصرين إلا بعض الكتابات لمستشرقين أو اكادميين جزائريين في فترات حديثة رغم ندرتها وانحصار الجزء الكبير منها حول سرد بعض المحطات وبصورة يغلب عليها الإيجاز أحيانا والعتمة وعدم الوضوح أحيانا أخرى.

بما أن البحث العلمي الأكاديمي الممنهج يحتم على صاحبه ضبط موضوع دراسته من جميع نواحيه ومختلف زواياه وخاصة الجانب التاريخي وكذا الجغرافي، ثم الاختصاص وذلك من أجل تقصيه بصفة متسلسلة ومترابطة للخروج بنتائج تنطلق من العام وتصبوا إلى الجزء.

فمن خلال هذا السياق يندرج موضوع بحثنا حول الإضافات والتعديلات المعمارية بالجامع الكبير بتلمسان في ظل الاحتلال الفرنسي- دراسة توثيقية- ، حيث لم يكن هذا الاختيار محل الصدفة أو العفوية، بل جاء بسب دافع التعرف على أهم هذه التدخلات وانعكاساتها على الجامع الكبير بتلمسان، ومدى تأثيرها على المخطط العام وخاصة بعد أعمال التهيئة التي شهدتها المدينة من طرف الإدارة الاستعمارية، في إطار ما يسمى بحملة تحويل كبريات المدن الجزائرية إلى مدن أوروبية.

أما عن أهم الإشكاليات الفرعية فكانت متعددة نذكر منها أهم التغيرات التي طرأت على الجامع الكبير قبل الاحتلال الفرنسي والوضعية الراهنة للجامع والمرحلة الانتقالية التي مر بها في الفترة الاستعمارية، وأين تم تركيز أعمال الإضافات والتعديلات في الفترة الاستعمارية.

للإجابة عن هذه التساؤلات قسمنا بحثنا إلى مقدمة جاء فيها تقديم للموضوع، وفصل تمهيدي تحدثنا من خلاله عن التطور التاريخي للجامع الكبير لمدينة تلمسان مع التعريج عن أهم التطورات المعمارية للجامع، ثم تحدثنا في الفصل الأول الخاص بالوصف المعماري للجامع عن أهم ما تميز به معماريا وفنيا وموقع وتوجيه أهم العناصر المعمارية فيه.

أما الفصل الثاني فجاء فيه مواد وتقنيات بناء الجامع الكبير، وقد قسمناه إلى جزأين، الأول فيه يتحدث عن مواد البناء وتواجدها في مستويات بناء الجامع الكبير، والجزء الثاني حول تقنية البناء وكيف وظفها المعماري في الجامع الكبير.

والفصل الثالث الذي يعتبر جزءا مهما من الموضوع فتطرقنا فيه إلى ترميم المعالم التاريخية بالجزائر في ظل سلطة الاحتلال الفرنسي معرجين فيه إلى أهم المصالح التي تعاقبت على مسؤولية الحفاظ والترميم، وأهم رواد هذه المرحلة من باحثين، وانعكاسات سياسة الإدارة الفرنسية في أصالة المعالم التاريخية بالجزائر.

أما الفصل الأخير فجاء فيه أهم التعديلات التي طرأت على الجامع الكبير في الفترة الاستعمارية وتقنيات تنفيذها، ذيلنا بحثنا بخاتمة جاء فيها أهم نتائج البحث، كما أوردنا مجموعة من الملاحق تنوعت بين صور وأشكال ومخططات الغرض منها تبيان وتوثيق ما ورد في عناصر موضوعنا.

من خلال تقصي حلقات البحث المترابطة اتبعنا عدة أنواع من مناهج البحث أهمها المنهج التاريخي في تتبع التطور التاريخي للجامع الكبير بتلمسان، والمنهج الوصفي في وصف الجامع الكبير، وأخيرا المنهج الاستقرائي في استنباط ما نحتاجه من معلومات حول السياسة الاستعمارية المنتهجة في التعامل مع المعالم في الجزائر وكذا أهم التغيرات التي طرأت على الجامع الكبير في نفس الفترة.

لكل بحث علمي مادته المرجعية، التي تنوعت في حالة بحثنا بين المادة التوثيقية من مراجع وتقارير ومخططات، تكلمت عن الجامع الكبير إما تاريخيا أو تقنيا، والمصادر المادية التي تمثلت في هذه الحالة في المعلم بحد ذاته، أهم المراجع التوثيقية نذكر" استخدامات المعالم التراثية والمتاحف والسياسة الاستعمارية في الجزائر، 1830-1930" للدكتورة نبيلة أولبسير والمكتوب باللغة الفرنسية، وكتاب جورج مارسي " المعالم العربية بتلمسان " المكتوب كذلك باللغة الفرنسية، وكتاب رشيد بورويبة " الفن الديني الإسلامي بالجزائر" المكتوب باللغة الفرنسية، و مقال أنطونيو ألماغرو " الجامع الكبير بتلمسان وقبة مقصورته" المكتوب باللغتين الاسبانية والانجليزية.

هذا وغيرها من المراجع الأخرى حسب أهميتها على غرار بعض الرسائل الجامعية، والتقارير والمخططات والمواقع الإلكترونية.

جدية هذا العمل تتمثل أساسا في القيام بتوثيق لأهم الإضافات والتعديلات التي أجريت على الجامع الكبير بتلمسان وذلك حتى لا يقع الباحثون الأثريون والمؤرخون، في بعض الأخطاء التي قد تساهم في تغيير مسار تاريخ هذا المعلم، لما يحمله من أهمية سنتطرق إليها خلال طيات هذا العمل البحثي، لأن ما يميز الأعمال الأثرية الحديثة هو التوثيق للآثار لمواجهة الموج الاقتصادي والبنائي الجارف والمترتب عن الثورة المعلوماتية والشارع التكنولوجي الذي أصبح حتمية مطلقة، لذلك تسعى الحكومات والهيئات المسؤولة عن التراث إلى إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

لكن يجب أن يقترن هذا العمل الإنقاذي، بنوع من الدقة والتأني في توثيق الآثار وخاصة المراحل المهمة التي مرت بها المناطق من الناحية التاريخية معرفة الدخيل ومحاولة فصله عن الأصيل، إضافة إلى وضع الدارس للآثار وخاصة في تخصص الصيانة والترميم في حسبانه أهم المواد والفضاءات التي أضيفت على المعالم في إطار تعديله أو مواكبته لتلك الفترات التاريخية.

واجهتنا أثناء القيام بهذا البحث عدة صعوبات أهمها قلة المراجع المتخصصة بالموضوع، كما أن ما توفر من مادة مرجعية كتب بلغات أجنبية مما حتم علينا ترجمتها بما تحمله من صعوبات، وصعوبة الوصول إلى الأرشيف الخاص بالجامع الكبير بفرنسا.

أملنا أن نكون وفقنا في دراسة هذا الموضوع بموضوعية فإن ظهر تقصير أو نقصان أو خطأ والمحل لذلك وارد وهو مني، وإن كان صوابا فهو بتوفيق من الله، ورجاؤنا أن تعم مثل هذه الدراسات على كامل المعالم الأثرية في سبيل الوصول إلى توثيق دقيق لأهم التحولات التي شهدتها المعالم الأثرية بمختلف أنواعها في الفترة الاستعمارية الممتدة من 1830 الى 1962 والتي يشوبها في بعض الأحيان نوع من التعتيم التوثيقي نظرا لقلة البحوث كما سبق الإشارة إليه في تقديم الموضوع.

والله من وراء المقصد.

الفصل التمهيدي:

وضعية جامع تلمسان قبل الاحتلال الفرنسي

تمهيد

إن عراقة مدينة تلمسان تكمن في كونها مدينة ضاربة في القدم، تعاقبت على تعميرها العديد من الحضارات، ولكنها لم تصبح ذات شأن في عالم التاريخ والحضارة حتى افتتحها المسلمون، وعم في أرجائها الإسلام، وطغى على ربوعها الدين السمح، ولعل أزهى فتراتها تلك التي كانت تحت لواء الإسلام مع افتتاحها من طرف المرابطين.

كما أن أهم الأسباب التي لمع بها اسمها هو موقعها الجغرافي الاستراتيجي، فقد جعلها همزة وصل بين الناحية الشرقية والناحية الغربية من أرض إفريقية الشمالية من جهة، وبين الحوض المتوسط وبلاد الصحراء من جهة أخرى، فكانت بذلك مركزا تجاريا هاما طيلة قرون، خيراتها وينابيعها جعلت منها مدينة لا تستمد من الأوطان الأخرى زرعا ولا ضرعا، ولا خضرا ولا فاكهة، السبب الثاني في شهرتها هو أن فيَّض الله لها ملوكا وأمراء واعين اعتنوا بعمرانها وتثقيفها[1].

إضافة إلى الشخصية التلمسانية في ذلك الوقت، واتساع أحوالهم، فلا تجد التلمساني إلا تاجرا أو حرفيا أو طالبا للعلم أو معلما أو جنديا مع الجيش يدافع عن وطنه، وقد كملت صنائعها، والصنائع إنما تكمل بكمال العمران الحضاري وكثرته[2].

ونضيف اهتمام المؤرخين بتلمسان كحاضرة للمغرب الإسلامي، سواء أولئك الذين عاش أو مر بها على فترات لاحقة، وخاصة أولئك المستشرقين ونخص منهم من تذوقوا الفنون المعمارية والعمرانية للمدينة، إذ أن البعض منهم ذهب إلى مقارنتها بحواضر إسلامية عالمية، وجعل منها قطعة تاريخية لا يقل شانها عن الأندلس في أرقى مستويات ازدهاره.

[1] محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 267.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، طبعة عبد الرحمن محمد ، الجزائر، ص 349.

1.نبذة عامة حول مدينة تلمسان

1.1. الموقع الجغرافي والفلكي لمدينة تلمسان

اعتبرت مدينة تلمسان من أفضل مدن الشمال الإفريقي في نظر أغلب الرحالة والعلماء[1]، فتلمسان تتميز بموقعها الجغرافي الاستراتيجي، فهي تقع في ملتقى الطرق الرئيسة التي تربط الساحل الشمالي للمغرب العربي وموانئه بالصحراء الكبرى من جهة، وتصل شرقه بغربه من جهة أخرى، هذا الموقع الممتاز جعل من تلمسان مركزا مهما للحرب والتجارة والسياحة[2]، وهي تقتعد بسفح جبل يحفظها من الجنوب، جاعلا إياها عروسا شابة في سريرها كما وصفها يحي بن خلدون[3].

تقع ولاية تلمسان بأقصى الغرب الجزائري في الإقليم الغربي، يحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط وولاية عين تموشنت، ومن الجنوب ولاية النعامة، ومن الشرق ولاية سيدي بلعباس ومن الغرب مدينة وجدة(المغرب الأقصى)، (ينظر الخارطة رقم 01)، تتربع على مساحة تقدر بحوالي 9020كم^2، أما فلكيا فهي تقع على خط طول 2° 13 ' غرب خط غرينتش، وبين دائرتي عرض 35° 15' و 34° 4 ' 30".

أما تلمسان المدينة، فيحدها من الجنوب هضبة لالة ستي ومن الشمال سهول المدينة ودائرة شتوان، أما من الغرب أطلال مدينة المنصورة المرينية[4]، ومن الشرق مرتفعات قرية العباد (ينظر

[1] زيدان جورجي، تاريخ آداب اللغة العربية، ج3، دار الهلال، د ت، ص95.

[2] محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1995 ص29.

[3] Marçais et william, les monuments arabes de tlemcen, foutemoig, paris,1903, p7.

[4] المدينة التي شيدها أبو يعقوب يوسف، الملك المريني سنة 698هـ/ 1299م، أثناء حصاره الأول على تلمسان.

الخارطة رقم 02)، أما المدينة فلكيا فهي تقع على 1° 28' خط طول ، 34° 53' دائرة عرض.

تبعد المدينة عن مدينة وهران بحوالي 160 كم، وعن الجزائر العاصمة بنحو 600 كم وهي ترتفع عن سطح البحر بما يقرب من 827 م [1]، وتبعد عنه بنحو 60 ميلا، حيث يمكن رؤيته أيام الصحو من الجبال المشرفة على تلمسان وخاصة تجاه جزيرة رشقون، ومدينة تلمسان تقع بين مجموعة من الجبال تحميها من ريح السموم الآتية من الصحراء، ورياح السيروكو(Surocco) القادمة من الغرب، يرتفع وسط المدينة تحديدا عن سطح البحر بحوالي 810م عند الجامع الكبير.

2.1. مناخ مدينة تلمسان:

تمتاز مدينة تلمسان بمناخ البحر الأبيض المتوسط ويعرف أيضا بالمناخ القاري البحري عند اصطلاح علماء المناخ، وهو المناخ السائد على معظم حوض البحر الأبيض المتوسط في شقيه الشرقي والغربي، وأيضا يعرف عنه على أنه مناخ المنطقة العربية وهو يتسم بانقسام السنة فيه إلى فصلين اثنين:

- موسم شتوي: يمتاز بالبرودة والرطوبة وهو قصير المدة، من شهر ديسمبر إلى أواسط مارس.
- موسم صيفي: يمتاز بالحرارة والجفاف، وهو طويل المدة من أواسط شهر مارس إلى شهر أكتوبر.

أهم العناصر المناخية المميزة لمنطقة تلمسان:

أ. التساقط: هو كمية المياه النازلة على المدينة من خلال عدة مظاهر وهي: الأمطار والثلوج في بعض الأحيان، فدراسة التساقط ظاهرة مهمة لمعرفة مناخ منطقة ما، وخاصة في إقليم البحر

[1] George Marçais, Encyclopédie de l'Islam , Tlemcen, extrait de la revue : l'Afrique Française, Paris, 1889, p 65.

الأبيض المتوسط، نستطيع معرفة كمية التساقط من خلال ارتفاع الماء الهاطل وبواسطة أدوات بسيطة، وذلك لمدة شهر كامل ومن ثم نحسب المتوسط الشهري، وبنفس الطريقة المتوسط السنوي، وغالبا ما يتعلق التساقط مباشرة بالارتفاع عن سطح البحر.

ب. الرياح: عنصر هام في المناخ، يرتبط أساسا بعاملين أساسين هما التوجه والسرعة

ب.1. التوجه: الرياح التي تصيب منطقة أو مدينة تلمسان ذات اتجاهين في الغالب هما الرياح الشمالية الغربية، والرياح الجنوبية القادمة من الصحراء والمصحوبة في غالب الأحيان مع حبيبات رملية.

ب.2. السرعة: سرعة الرياح التي تصيب مدينة تلمسان متوسطة، يبلغ متوسطها السنوي 24 كم/ سا، وأحيانا أقل في معظم فترات السنة، وفي بعض الفصول الشتوية قد تصل سرعة الرياح أو تفوق سرعة 44كم/ سا، وقد تكون مرفوقة بعواصف من النوع المتوسط [1].

ج. الرطوبة:

تتراوح نسبة الرطوبة بمدينة تلمسان ما بين:

- 61% في الفصول الحارة (أفريل – ماي – جوان- جويلية- أوت- سبتمبر)
- من 74% إلى 77% في فصل الشتاء(أكتوبر إلى غاية مارس).

3.1. التطور التاريخي لمدينة تلمسان:

من الصعب أن نميز من اختط مدينة تلمسان لأول مرة، كما إننا لا نعرف بالضبط من أعطاها هذا الاسم ولا الفترة الزمنية التي بنيت فيها للوهلة الأولى، وهذا نفس الرأي عند اغلب وجهات نظر الباحثين، رغم استنادهم لبعض الفرضيات المتواترة.

[1] وذلك حسب محطة الأرصاد الجوية الصفصاف بمدينة تلمسان.

لتلمسان شخصية تاريخية مهمة في الجزائر والعالم الإسلامي برمته، حيث تعاقب على حكم تلمسان منطقة أو مدينة، أمم وشعوب مختلفة، مبتدئة بعصر ما قبل التاريخ الذي كان لها حظ فيه، وخاصة ما وجد من صناعات حجرية، نخص بالذكر موقع المويلح في مغنية ومواقع أوزيدان شمال المدينة، وكذا مواقع بوهناق في غربها، ثم يمكن أن نذكر البربر، حيث بنوا فيها أصل المدينة القديمة.

بالنسبة للعصر الروماني، كانت تلمسان في عهد استيلاء الدولة الرومانية على الشمال الإفريقي مركزا حربيا وحصنا عسكريا، وأقاموا بها ساقية مشهورة[1]، ومن المرجح أن الرومان حكموا المدينة في الربع الأخير من القرن الخامس ميلادي[2]، إلى غاية قدوم الفتوحات الإسلامية(55هـ/ 675م)، بقيادة أبو المهاجر دينار مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري ولي الخليفة معاوية على مصر وإفريقية[3]، هذا التواجد تثبته الحجارة المنقوشة باللغة اللاتينية في مواقع مختلفة من تلمسان[4].

تعاقب ملوك على حكم تلمسان في الفترة الإسلامية عدة ملوك ودويلات مختلفة نذكر منها بهذا الترتيب، فترة حكم الدويلات، المرابطون، الموحدون، الزيانيون، المرينيون ثم فترة الحكم العثماني وذلك بعد الامتداد الإسباني على الساحل الوهراني، ثم بعد الأتراك شهدت فراغا إلى غاية مبايعة الأمير عبد القادر حاكما للمنطقة، ويأتي بعده الاستعمار الفرنسي إلى غاية الاستقلال وعودة السيادة الوطنية، كما سنتحدث عن ذلك في عنصر لاحق.

[1] يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، المجلد الاول، مطبعة بيار فونتانا الشرقية، الجزائر، 1903، ص 11.

[2] حسب الكتابات اللاتينية على بعض شواهد الأحجار الموجودة بمتحف تلمسان وفي موقع أغادير.

[3] محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 53.

[4] Adrien Berbrugger, Épigraphie de Tlemcen, revue africaine, volume 2, 1857, p 62.

يبين المخطط الموالي الفترات التي تعاقبت على حكم تلمسان، وذلك من خلال تتبع النسيج العمراني لكل فترة مرت بها مدينة تلمسان ينظر المخطط رقم 01.

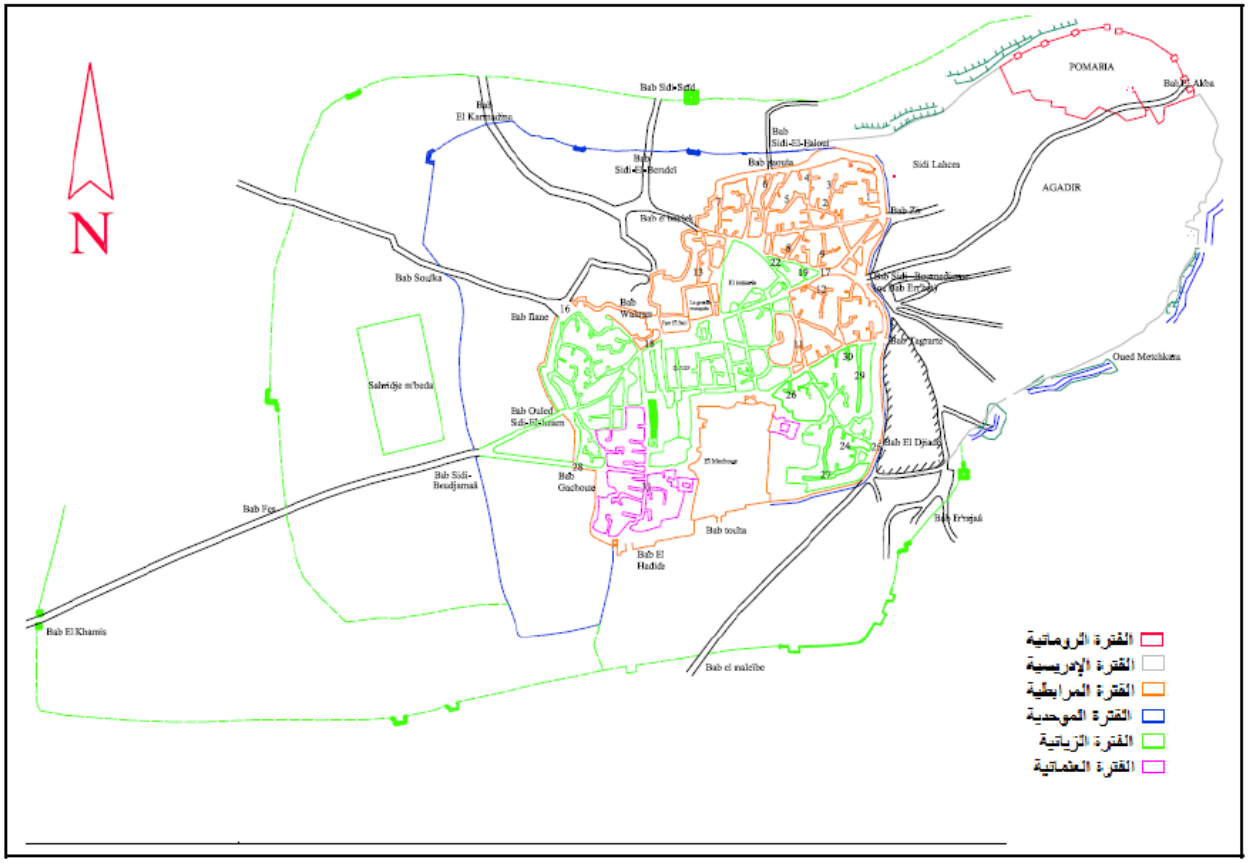

المخطط رقم 01: الفترات التي تعاقبت على حكم تلمسان

نقلا بتصرف عن groupe d'étudiants, ananys urbaine du noyau historique de tlemcen, département d'architecture univ, tlemcen,2003-2004,p21.

2.تلمسان في العهد المرابطي

1.2. دولة المرابطين:

المرابطون الملثمون هي حركة إصلاحية إسلامية، أسست أول دولة في منطقة المغرب الإسلامي وقد ابتدأ أمر الملثمين في سنة أربع مئة وثمانية وأربعين للهجرة وهم يتكونون من عدة قبائل أشهرها لمتونة وجدالة ولمطة [1]، موطنهم أرض الصحراء الجنوبية التي تقع ما بين بلاد البربر وبلاد السودان[2].

وبدأ المرابطون من عام 448 هـ الجهاد في سبيل الله، وفتح بعض بلاد السوسة بقيادة أبي بكر بن عمر وابن عمه يوسف بن تاشفين الذي قاد الحركة المرابطية منذ ذلك الحين، وأسس الدولة المرابطية [3]، فقد قام بإرسال قائده المزدلي إلى تلمسان سنة 472هـ[4]، وبنى فيها يوسف بن تاشفين مدينة تاجرارت سنة 473هـ/1080م في الجانب الغربي من أغادير وجعلها محطا

[1] ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ ، تصحيح محمد يوسف الدقاقدار ، مج 8، ط 1، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان،1987، ص327.

[2] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصا في أخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق: جعفر النصاري، محمد النصاري، ج الثاني،دار الكتاب ، الدار البيضاء، 1954، ص 3.

[3] نفسه، ص43

[4] الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تر يحي بوعزيز،ج 1، دار الغرب الإسلامي، ط ، 1990 م، ص133_134.

لعسكره وسماها تاجرارت بمعنى المعسكر بالبربرية[1]، وهدم سور أغادير وضم المدينتين القديمة والجديدة وقام بتأسيس المسجد الكبير[2]، (ينظر المخطط رقم 05).

2.2. الجامع الكبير في عهد المرابطين:

بني الجامع الكبير كما سبق الذكر على يد المرابطين عند تأسيسهم لمدينة تاجرارت وذلك سنة475هـ/1082م[3].

بني هذا المسجد في صورة بسيطة متقشفة يخلو من الزينة والزخرفة، فهو انعكاس لشخصية مؤسسه يوسف بن تاشفين الذي كان معروفا بعيشه حياة تقشف وزهد في الحياة مبعدا نفسه عن ملذاتها وفخامتها[4]، فالمسجد لم يكن يحتوي على قبة المقصورة ولا على الزخارف[5]، وما يجدر الإشارة إليه هو الاختلاف ما بين بعض المؤرخين في فرضيات الإنشاء الهيكلي والتخطيط الأول للصورة التي كان عليها المسجد رغم اتفاقهم أن أول من قام بتشييده هم المرابطون كما سبق ذكره، هؤلاء المؤرخون هم جورج مارسي ولوسين قولفن، ورشيد بورويبة، وجاءت آراؤهم متباينة، فجورج مارسي المؤرخ المستشرق الفرنسي يرى أن المسجد الكبير المشيد من طرف أبو تاشفين المرابطي تكون مخططه الأولي على ستة أساكيب الأولى في المخطط الحالي وصحن مستطيل الشكل يتوسط

[1] عبد الواحد ذنون طه، التطور العمراني لمدينة تلمسان الإسلامية:دراسة في النصوص الخاصة بـ: أغادير، تاكرارت، المنصورة، أعمال ملتقى دولي بتلمسان "تلمسان الاسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني"، الجزء الأول، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011، ص16.

[2] Georges Marcais,Tlemcen, Edition de EDIK, Oran,2003,p18-20.

[3] عبد الواحد ذنون طه،المرجع السابق، ص 17.

[4] عبد العزيز محمود لعرج، جمالية الزخارف النباتية في الفن الإسلامي بجامعي تلمسان الكبير وسيدي بلحسن، أعمال ملتقى دولي بتلمسان "تلمسان الاسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني"، الجزء الأول، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011، ص 211.

[5] Antonio Almagro, The Great Mosque of Tlemcen and the Dome of its Maqsura, ISSn 0211-3589 doi: 10.3989/alqantara.2015.007, p226

سبع بلاطات وخلفه ثلاثة أساكيب من الناحية الشمالية، مشابها بذلك تخطيط المسجدين المرابطين المعاصران له في كل من الجزائر العاصمة وندرومة[1].

أما لوسين قولفن فيذهب إلى فرضية ثانية مفادها أن الجامع الكبير قد بدأ في عهد يوسف بن تاشفين واكتمل في عهد على بن يوسف بن تاشفين سنة 1136 هـ وأخذ شكله المكتمل في تلك السنة ليتمدد المخطط العام وصولا إلى الحدود الشمالية للصحن[2]، ويذهب الباحث الجزائري رشيد بورويبة إلى الطرح الذي قدمه سابقه لوسين قولفن، معتمدا على النتائج والاستقراءات التي قدمها ، ودليل إثباته لهذه الفرضية هو الكتابات التذكارية التي خلدت اسم على بن يوسف دون ذكر أبيه[3].

أما في فترة خليفته وابنه الذي لم يعش ما عاشه والده فهو من أم أندلسية وقد نشأ وتعلم في ظل الترف الأندلسي الذي تأثر به وحاول أن ينقله إلى المنشآت المرابطية في تلمسان، خاصة الجامع الكبير وما يؤكد على هذا كتابة قبة محراب الجامع، ليدخل على الجامع زخارف كثيفة ومتنوعة توزعت على جدار القبلة والمحراب وواجهته وقبته وعقود القبة وواجهة عقد البلاطة المركزية الحامل للقبة[4].

والقبة التي تتقدم المحراب التي فرغ من بناءها سنة 530هـ/1136م كما تدل عليه الكتابة التأسيسية التي تحيط برقبتها، حيث أقيمت على ضلوع متقاطعة تنطلق من قاعدة القبة وتتقاطع

[1] Chiali Moustafa,essai d'application semiotique sur le decor architectural musulman en algerie cas de la grande mosquée de tlemcen, magister,école polytechnique d'architecture et d'urbanisme, alger, p 78.

[2] Lucien golvin, « Essai sur l'architecture religieuse musulmane : l'art hispano-musulman », p189.

[3] Chiali Moustafa,op cit, p 78.

[4] عبد العزيز محمود لعرج،المرجع السابق، ص 211.

في نهايتها مكونة بينها فراغا صغيرا تغطيه قبة صغيرة مقرنصة[1]. وبناء القبة أمام المحراب مستوحى من التوسعة التي مست الجامع الكبير في قرطبة وذلك من خلال اعتماد الأقواس المتداخلة وذلك لإدخال قدر من الضوء وإعطاء بعد بصري للمحراب[2]،(ينظر المخطط رقم 02)، وتبقى الحالة الأولية للصحن لغزا والأرجح أنه كان أصغر قبل الفترة الموحدية [3].

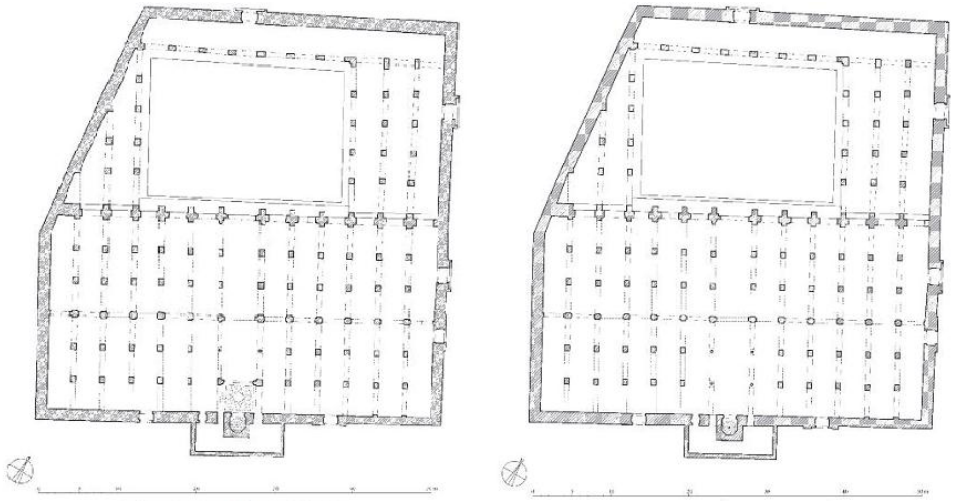

المخطط رقم 02: مخطط جامع بتلمسان الكبير في بدايته خلال العهد المرابطي

تصور انتوتيو ألمارغو

نقلا عن Antonio Almagro, The Great Mosque of Tlemcen and the Dome of its Maqsura, ISSn 0211-3589 doi: 10.3989/alqantara.2015.007, p,p 226, 247.

[1] عبد العزيز سالم، روائع الأثار الإسلامية بجمهورية الجزائر، مجلة المجلة، العدد 19، 1959، ص 31.

[2] Antonio Almagro, op cit, p246_247

[3] Agnès Charpentier, tlemcen et l'évolution des modéles de l'architecture religieuse médiévale au maghreb711 – 2011 treize siècles d'histoire partagée, essai bilant perspectives d'avenir, Actes du colloque international tenu à l'Université de Tlemcen du 17 au 19 octobre 2011,p140

3 تلمسان في العهد الموحدي

1.3. الدولة الموحدية:

قامت الدولة الموحدية على أسس إصلاحية دينية بحتة بزعامة رجل بربري يدعى محمود يخو محمد بن تومرت الذي ولد في النصف الثاني من القرن السادس هجري 471_1078[1]، وتوفي في سنة 542هـ[2]،وهو محمد بن عبد الله بن عطاء بن رباح بن محمد ابن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[3].

توجه ابن تومرت إلى المشرق طالبا العلم[4]، وعند رجوعه إلى افريقية التقى بعبد المؤمن[5] الذي سيخلف من بعده بوصية منه الدولة الموحدية[6]، هذه الدولة التي امتدت من المحيط الأطلنطي إلى حدود مصر ومن الصحراء الكبرى إلى جبال شارات بالأندلس[7]، فقد قامت دولة الموحّدين على أنقاض الدولة المرابطية ، وقام عبد المؤمن بن علي بغزو مدينة تلمسان عام540هـ/1145م، وقضى على الأمير المرابطي بها تاشفين بن علي، وقد شهدت تلمسان خلال عهد الموحّدين تطوّرا

[1] البيذق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة، الرباط،1991،ص24

[2] عبد الواحد المراكشي،المعجب في تلخيص اخبار المغرب، شرحه واعتنى به د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية الطبعة الأولى سنة 1426 هـ - 2006 م ص145.

[3] ابن القاضي، جذوة اقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، ج1 ،دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب، 1973 ، ص 50 .

[4] عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب،تحقيق محمد السعيد العريان، الطبعة الأولى، مطبعة الاستقامة، القاهرة،1949، ص155.

[5] على محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي دولة الموحدين، ج 5،دار البيارق، عمان، 1998 ، ص97 .

[6] عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص146_147.

[7] محمد المنوني حضارة الموحدين، دار توبقال الدار البيضاء المغرب، 1989، ص 11_12.

هائلا في الحضارة والعمران [1]، وازداد توسع المدينة مع تزايد النشاط التجاري من جهة وانتشار الثقافة العربية الإسلامية من جهة أخرى واعتنى الموحدون بتاجرارت وأبقوها عاصمة لولاية المغرب الأوسط وشيدوا أسوارها، وأصبح الكثير من الطلبة والعلماء يرتحلون إلى تلمسان للأخذ عن علمائها أو التدريس والاستقرار بها[2]، (ينظر المخطط رقم 06).

2.3. الجامع الكبير في العهد الموحدي:

من بين فرضيات الإنشاء الهيكلي والتخطيط الأول للصورة التي كان عليها الجامع، تلك التي وضعها قصاب بأن توسعة الجامع الكبير كانت في عهد الموحدين وبالتحديد تحت إمارة عبد المؤمن وذلك لتلبية الحاجة الملحة المتمثلة في زيادة عدد سكان مدينة تلمسان وكذا تطور النسيج العمراني للمدينة، تجسدت هذه التوسعة في زيادة مساحة قاعة الصلاة على حساب الصحن الأولي حيث تم استحداث صحن جديد شمال الأول وأصبح محاطا بثلاث بلاطات من الجانبين[3] .

وتتخذ كل من أبواب الواجهة والثلاثة الأولى من الجدار الشرقي الشكل نفسه الذي توجد عليه في مناطق أخرى كتنمل والكتيبة وتختلف بعض الشيء عن تلك الموجودة في مسجدي: الجزائر وندرومة، أو فاس، مما يطرح احتمال أن يكون الموحدون قد أدخلوا عليه بعض التعديلات: ولعل ما يعزز هذا الاحتمال ما يلاحظ من أشكال بعض الأقواس التي تحمل خصوصيات الحقبة

[1] يحي بوعزيز، المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية ، مجلة الأصالة ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، العدد26، جويلية 1975، ص6.

[2] عبد الحميد حاجيات،"تلمسان مركز الاشعاع الثقافي في المغرب الأوسط"، مجلة الحضارة الاسلامية، ع1، أبريل 1993، ص37.

[3] Kassab Tsouria, Antagonismes entre espaces historiques et Développement urbain : Cas de Tlemcen, Thése de Doctorat, EPAU, p213

الموحدية والتي أفضت دراستها العميقة الى أنها ليست من وضع علي بن يوسف وإنما من وضع عبد المؤمن بن علي.

4. تلمسان في العهد الزياني:

1.4. تأسيس الدولة الزيانية:

تأسست الدولة الزيانية على يد يغمراسن بن زيان وذلك عندما استقل عن الدولة الموحدية التي كان واليا لها بالمغرب الأوسط [1]، وقد ذكر ابن الأحمر " ... وعندما تفككت الدولة الموحدية قام من بين بني عبد الواد رئيس نشيط قادر هو يغمراسن بن زيان، فأعلن نفسه أميرا على تلمسان، وحصنها، وطال عمره فحكم نحو خمسين سنة (1236-1282هـ) ثبت خلالها قواعد هذه الإمارة الزناتية ...وجعل تلمسان قاعدة المغرب الأوسط كله"[2]، فأصبحت تلمسان بذلك مقرا للسلطة المركزية لهذه الدولة في المغرب الأوسط مما جعلها توفر وسائل النمو والازدهار الثقافي من خلال بناء المؤسسات التعليمية وجلب مشاهير العلماء والأدباء[3]، (ينظر المخطط رقم 07).

[1] نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان، من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م، أطروحة دكتوراه تاريخ وسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2009_2010، ص 23.

[2] ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، تقديم وتحقيق وتعليق : هاني سلامة ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر ، 2000، ص 13.

[3] عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص39.

2.4. الجامع الكبير في العهد الزياني:

أضيف إلى المسجد قسم ثابت في عهد يغمراسن بن زيان الذي أضاف الجزء الشمالي من بيت الصلاة والقبة والصحن والمئذنة[1]، الشبيهة بالعمارة الأندلسية وزخارفها، بحيث تعلو السواري تيجان تشبه تيجان مسجد قرطبة [2]، وقد أضاف خلفاء يغمراسن لهذا المسجد خزائن للكتب فأصبح الجامع يضاهي أكبر جامعات تلك الفترة بفاس وتونس [3].

حيث أصبح معهدا للتدريس منذ أن استقدم يغمراسن إليه الشيخ الفقيه أبا إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي 1281 / 681 ليعقد مجالسه العلمية به ، والتي كان يحضرها يغمراسن برفقة الفقهاء ، فتوافد عليه العلماء وطلبة العلم من كل صوب خاصة من الأندلس[4].

إضافة إلى المكتبة التي أنشأها أبو حمو موسى الثاني سنة 760هـ 1359م بالجامع الأعظم بتلمسان وكانت تزخر بالكتب[5]، والمكتبة التي بناها السلطان أبو زيان بن أبي حمو موسى الثاني سنة 796هـ 1394 م بالجامع نفسه[6].

---

[1] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، الجزء الأول، موفم للنشر ، الجزائر، 2002، ص 146.

محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان، تحقيق محمود بوعياد، ص 125 ؛ عطاء الله دهينة و آخرون، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، الجزائر في التاريخ، ج3 ، ص 362 ؛ صالح بن قربة المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986 ص 85 .

[2] Marçais et william, les monument arabes de tlemcen, op cit, p p 148-150.

[3] عبد الرحمن بالأعرج، العلاقات الثقافية بين الدولة بني زيان والمماليك، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ، جامعة تلمسان 2008/2007، ص 31 .

[4] بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين ، رسالة دكتوراه،قسم التاريخ، جامعة تلمسان ، 2013-2014، ص 151.

[5] محمد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص400.

[6] التنسي، المصدر السابق، ص 211.

5. تلمسان في العهد العثماني

1.5. الدولة العثمانية:

تأسست الدولة العثمانية على يد عثمان بن أرطوغول الذي سميت باسمه السلالة العثمانية، ويرجع موطنه الأصلي إلى تركمنستان، فقد ارتحل أرطوغول مع أبيه إلى آسيا الصغرى الذي طلب من السلطان السلجوقي تخصيص أرض لذويه وأغنامه، فكان له ذلك وبعد موته ربط ابنه عثمان علاقات مع اعيان المناطق المجاورة، إلا أن هذا الود لم يدم طويلا واستطاع عثمان الانتصار على أعدائه وبهذا تكون أسس الدولة العثمانية قد حفرت في أرض الأناظول[1]، وتشير الكثير من الشواهد على أن عثمان قد توفي في يوم ما بين سنتي 1323 و 1324م[2].

في القرن السادس عشر بسطت الدولة العثمانية سيادتها على ثلاثة أقاليم في شمال أفريقيا وهي تونس والجزائر وطرابلس، وكان هذا البسط لتلبية طلب الاستغاثة التي جاءت من قبل سكان هذه الأقاليم خاصة الجزائر وطرابلس لإنقاذهم من الزحف الصليبي الاستعماري القادم من أوروبا[3]، فقد استقرت القوات العثمانية بقيادة الإخوة عروج وخير الدين بربروس في الساحل الغربي للبحر المتوسط بداية من جيجل سنة 1514م[4]، ثم مدينة الجزائر سنة 1516م[5].

كانت تلمسان في هذه الفترة تحت حكم الزيانيين بإمارة أبو حمو موسى الثالث الذي كان يقدم ضريبة للأسبان مقابل بقائه على سدة الحكم الأمر الذي كان بمثابة الإهانة لأهالي تلمسان الذين لم يترددوا في طلب المساعدة من الإخوة بربروس فكانت تلك بداية التواجد العثماني في

[1] روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ت بشير السباعي، ج 1، ط1، دار الفكر، القاهرة،1993، ص 17-19.

[2] نفسه، ص 24

[3] إسماعيل احمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبه العبيكان ، 2ط ، 1998، ص 237-238.

[4] عزيز سامح ، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا، ت محمد على عامر، ط1، دار النهضة، بيروت، 1989، ص 71.

[5] وليم سبنسر،الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر،الجزائر، 2006, ص 40.

تلمسان[1]، إلا أن هذا التواجد لم يكن نهائيا وما كادت تمضي سنوات من الكفاح المتواصل حتى تمكن العثمانيون من ضم تلمسان تحت راية الدولة العثمانية منذ سنة 1554م إلى غاية دخول الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م [2]، ولم يترك العثمانيون الكثير من المعالم في مدينة تلمسان، (ينظر المخطط رقم 08)، حيث يمكن إحصاؤها بسهولة في تطور النسيج العمراني للمدينة ولعل أبرزها في العمارة الدينية مسجد لالة روية الذي شيد سنة 1791/1206م الذي تميز بقبة مزكزية ذات طراز عثماني محمولة على أربع أعمدة كما أن قاعة الصلاة مقسمة إلى رواقين[3] .

2.5. الجامع الكبير في العهد العثماني:

لم يعرف الجامع الكبير في الفترة العثمانية أي تدخلات كبيرة[4]، فأحوال تلمسان في العهد العثماني لم تكن الأفضل في تاريخيها فهي لم تعد سوى مكانا لتمركز القوات العسكرية وكذا مكانا لجمع الايتاوات والضرائب من سكان المنطقة، وهذا ما يفسر على أنه في الفترة العثمانية أدي عدم استقرار الظروف السياسة وتكالب الأطماع على المنطقة الى صرف النظر عن التشييد وتوجيه الفكر والجهد إلى التحصين وتحضير القوات إلى ما هو أكثر أهمية حسب من عايشوا تلك الفترة من الحكم.

---

[1] عادل محمد زيادة، التراث المعماري الديني بتلمسان منذ عصر المرابطين ودوره في التواصل الحضاري بين شرق العالم الاسلامي وغربه، أعمال ملتقى دولي بتلمسان "تلمسان الاسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني"، الجزء الثاني، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011، ص 218.

[2] بكاي هوارية، المرجع السابق ، ص46-57.

[3] Lucien Golvin,Le legs des Ottomans dans le domaine artistique en Afrique du Nord ,Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, Volume 39 Numéro 1, 1985, p, 206.

[4] Chiali Moustafa, op cit, p69.

6. الأضرار المعمارية التي لحقت بالجامع في بداية الاحتلال الفرنسي:

دخول الاحتلال الفرنسي مدينة تلمسان كان مع حملة كلوزيل سنة 1835-1836م وقد كان هذا الاحتلال مؤقتا وذلك لجلاء القوات الفرنسية عنها سنة 1837م بمقتضى معاهدة تافنة[1]، إلا أن إخلال المستعمر ببنود هذه المعاهدة أدى إلى دخول المستعمر الفرنسي إلى مدينة تلمسان بشكل النهائي سنة 1842م عندما تغلل الجنرال بيجو بجيوشه داخل المدينة[2]، ومنذ دخوله إلى مدينة تلمسان عمد الجنرال بيجو إلى إنشاء إدارة محلية مؤقتة وذلك ببسط سيطرته على الملكيات الخاصة للمدينة وتحويلها إلى مصلحة أملاك الدولة بقرار حكومي صادر بتاريخ 14 فيفري 1843م تم على إثره تحويل مجموعة من المنازل الملتصقة إلى ثكنات عسكرية[3]،

وفي سنة 1845م قررت الإدارة الفرنسية وضع مخطط جديد لمدينة تلمسان أو مدينة الأهالي كما سمتها الإدارة الفرنسية وتحويلها إلى مدينة أوروبية، (ينظر المخطط رقم 09)، وأوكلت المهمة وضع هذا المخطط إلى الإدارة العسكرية ومصالحها الطبوغرافية حيث كلف المساح الطوبوغرافي دروفي بهذه المهمة، الذي كان مطالبا بوضع مخطط يحوى على حالة المدينة قبل التدخلات [4].

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص100.

[2] Micheal greenhalgh,The Military and Colonial Destruction of the Roman Landscape of North Africa,edition brill, boston,2014,p141.

[3] Omar brahami ramzi, mon ami de Beni-saf, édition bublibook, paris France,2009, p 108.

[4] Walid hamma, Abdelkader djedid, Mohammed Nabil ouiss, délimitation du patrimoine urbain de la ville historique de tlemcen en algerie, cinqcontinents revue roumaine de geographie, Volume 6 , Numéro 13 , 2016,p 54.

إلا أن العمل على معالم تلمسان كان قبل الدخول إلى مدينة تلمسان، ومنها التقرير الفرنسي حول مساجد تلمسان سنة 1839م والذي أحصى عددا كبيرا من مساجد تلمسان والذي يذكر أن معظم مساجد المدينة صغير نسبيا ما عدا الجامع الكبير الذي يتميز حسب التقرير بالضخامة والصومعة العالية وتوسطه المدينة [1]، إلا أن هذه الضخامة قد حجبت من طرف المستعمر وذلك بإحاطته بالمباني[2].

وقد ذكرت حالة المسجد في بداية الاستعمار الفرنسي على أحد اللوحين التذكاريين اللذان وجدا على جسر يقع ما بين مدينة شتوان والمجمع السكني المعروف باسم أوزيدان وبالتحديد على بعد حوالي ثمانية كيلومترات شمال شرقي مدينة تلمسان، ورمم من طرف الجيش الفرنسي سنة 1846م، اللوح صنع من الحجر الرملي الأحمر اللون ذو أبعاد (80x150) سم وقد كتب اللوح المعني باللغة العربية وقد عاينه ألفرد بيل سنة 1902م والجدير بالذكر أن هذا اللوح قد اختفى في ظروف غامضة، ونشر مضمونها المستشرق ألفرد بيل بالمجلة الأفريقية سنة 1911م:"...بالبناء وتحصينها كمساجدها وطروقها(كذا) وترميم ما هو فاسد فيها بدأ (كذا) بالجامع الكبير من تلمسان فزينه وجدد منبره وصومعته/كان بها خراب..."[3]، ينظر ملحق النصوص .

وقد لحق بالجامع الكبير بتلمسان خراب مس مئذنته سنة 1836م على يد طلائع الجيش الفرنسي التي دخلت مدينة تلمسان أول مرة وتحصنها بقلعة المشور، فطوقت من طرف الأهالي وحاصروهم إلى ان نفذت مؤنهم وصعب وصول المساعدة إليها من الخارج فعمد قائد تلك الطلائع إلى خطة ماكرة وقام بقصف مئذنة الجامع الكبير بالمدافع وإلحاق الأضرار بها من اجل

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 106.

[2] نفسه، ص109.

[3] Alfred bell, Note sur une inscription de 1846 figurant sur le pont de négrier(tlemcen), Revue africaine,volume55,OPU,Alger, 1911, p160-170.

مساومة الأهالي للسماح لهم بالخروج من المشور بسلام أو دك جامعهم الذي يحتل مكانة كبيرة في نفوسهم وبالفعل نجحت خطته[1]. ينظر اللوحة رقم 04.

خلاصة الفصل

من خلال ما سبق، وبتتبع المراحل المهمة التي مر بها الجامع الكبير بتلمسان، من خلال مختلف الأنظمة والدويلات وفترات الحكم المتعاقبة على تلمسان، برغم توافقها في المرجعية الدينية، والمكانة التي تحتلها المعالم الدينية وخاصة المساجد إلا أن الجامع الكبير شهد العديد من التغيرات، التي لم تغير في هيكله العام إجمالا إلا أنها حورت في الكثير من ملامحه الزخرفية، وإضافة الملاحق والعناصر الملحقة كالمئذنة والمقصورة.

هذا ما يمكن تفسيره على أنه نوع من محاولة إبراز الشخصية والبصمة الفنية والمعمارية لكل فترة حكم، الشيء الذي تحدثت عنه الكتابات التاريخية في المصادر المعاصرة واللاحقة لتاريخ التطورات الحاصلة للجامع الكبير، لكن للأسف أغفلته الكتابات التذكارية والنقائش التأسيسية، الأمر الذي يطرح عدة تساؤلات، خاصة حول فترة استعمار الجزائر بصفة عامة وتلمسان بصفة خاصة من طرف الفرنسيين.

[1] الرزقي شرقي، الجسور الأثرية بمدينة تلمسان وضواحيها (دراسة أثرية)، أعمال ملتقى دولي بتلمسان "تلمسان الاسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني"، الجزء الأول، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011، ص 74.

الفصل الأول :

جامع مدينة تلمسان في الوقت الراهن

تمهيد:

رغم أن العمارة المرابطية تميزت بصفات معمارية بسيطة حسب ما اتفق عليه المؤرخون والباحثون، إلا أن بعض العمائر التي تنتمي إلى الفترة المرابطية أخذت الاستثناء نظرا إلى أهميتها وقيمتها التاريخية، وموقعها الجغرافي لامتداد هذه الدولة، من بين هذه المعالم الجامع الكبير بمدينة تلمسان التي اعتبر بحق إحدى عواصم الدولة المرابطية، حيث تميز الجامع الكبير بمواصفات معمارية إبداعية من حيث مخططه العام وكان من الأمثلة التي ميزت فترة حكم المرابطين في المغرب الإسلامي.

إضافة إلى أن هذا الجامع أصبح السمة الرئيسية للعمارة الدينية التلمسانية، وحلقة الوصل بين المراحل التاريخية، والرابط الروحي المتسلسل بينها، إذ لم تمر فترة تاريخية دون أن تترك بصمتها على هذا المعلم مع عدم المساس بالمخطط العام للجامع، أما العلامة الواضحة والمسجلة في تاريخ الجامع هي تلك التعديلات التي طرأت على الجامع في الفترة الزيانية.

جاء الوصف المعماري العام للجامع الكبير بتلمسان مشابها لبقية المساجد من حيث المداخل والوصف الخارجي وكذا قاعة الصلاة ونظم الدعم والتسقيف وموقع الصحن، حيث اتسمت بالدقة والبساطة المعمارية في نفس الوقت، كما لم تختلف عن الطرز المعمارية في تفاصيلها المنتشرة عبر ربوع العالم الإسلامي الغربي، كما تميز بمحرابه الذي أضفى عليه رونقا وجمالا ، وكذا بقبته المركزية التي تتقدم المحراب والتي انبهر في دقة انجاز أجزائها وحنكة في التعامل مع مواد بناءها وزخرفتها كل من زار الجامع الكبير وخاصة الباحثون المختصون في فترات مختلفة نذكر منهم جورج مارسي، ورشيد بورويبة وانطونيو ألماغرو.

1. ضبط الموقع:

1.1. الإحداثيات الجغرافية والفلكية:

يقع الجامع الكبير وسط مدينة تلمسان في موقع جغرافي وفلكي مميز على 34.53 شمالا و1.19 غربا، وبإحداثيات جغرافية :36.47 شمالا 03.035 شرقا، من حيث قراءة الموقع الفلكي نجد أن الجامع الكبير يشكل فاصلا من حيث خطوط الطول ودوائر العرض وكأنه يلعب دور القاسم الحارس لما يحيط به، هذا الأمر الذي جعل الباحثين ينبهرون بمن اختط واختار له موقعه، ووصل الأمر إلى نسيان وانسلاخ عن الموقع الأصلي للمدينة ونواتها الأولى.

2.1. الامتداد:

يمتد الجامع الكبير بتلمسان طوليا على المحور العمودي على جدار القبلة ، بنسبة، امتداده الطولي من الخارج يبدأ بواجهته الرئيسية الجنوبية الشرقية المقابلة للساحة العمومية الأمير عبد القادر إلى الواجهة الشمالية الغربية، أما الامتداد العرضي فهو ثابت تقريبا من الواجهة الأمامية إلى الواجهة الخلفية باستثناء الركن الغربي، يظهر هذا الامتداد بوضوح في الواجهة الرئيسية للجامع من الخارج، بداية من شارع فرنسا إلى الركن الشرقي المتصل بشارع المؤدي إلى القيصرية والسوق الخضر والفواكه المركزي.

3.1. الحدود:

يتوسط الجامع الكبير مدينة تلمسان، فهو يعتبر نقطة مركزية للمدينة، يحده من الجهات الأربعة شوارع استحدثت في الفترة الاستعمارية[1]، يحده من الجهة الجنوبية الشرقية ساحة الأمير عبد القادر والتي كانت تحمل اسم ساحة القديس ميشال في الفترة الاستعمارية، وكذا كانت تتموقع فيها المدرسة التاشفينة، حسب مخططات المهندس المعماري دوتوا[2]، وهدمت في إطار أعمال التهيئة التي عرفتها المدينة من أجل ملاءمتها لاحتياجات المستعمر، أما من الجهة الشمالية الغربية فيحده شارع السلام الذي كان في الأساس جزءا من الجامع الكبير[3].

أما من الجهة الجنوبية الغربية فيحده شارع الاستقلال الذي كان يسمى بشارع فرنسا في الفترة الاستعمارية، والذي فتح هو الأخر في نفس السياق الرامي إلى إعادة هيكلة وتخطيط المدينة، يفصل هذا الشارع بين الجامع وبين مبنى يعود للفترة الفرنسية استخدم كثكنة عسكرية للعتاد العسكري بني على أنقاض حي سكني تتخلله أطلال أثرية عتيقة كانت تعرف بحي القصر البالي، أي حي القصر القديم[4].

وفي الجهة الشمالية الشرقية نجد ضريح سيدي بلحسن الغماري بدرب السبعة أقواس الذي هو في امتداد باب مصلى النساء القديم للجامع الكبير, حول باب مصلى

[1] Plan de ville de Tlemcen, département d'Oran, Service des opérations topographiques,1929.

[2] هو ايدموند ديتوا، مهندس معماري فرنسي كان تابع لمصحة المعالم التاريخية المستحدثة في الجزائر من طرف الادارة الفرنسية، سنتطرق لهذه الشخصية في عنصر لاحق من الفصل الثالث.

[3] Plan de ville de Tlemcen, département d'Oran, Service des opérations topographiques,1929.

[4] شارل بروسلار، كتابات شواهد وقبور سلاطين وأمراء بني زيان الملتقطة من روضاتهم الملكية، تعريب الرزقي شرقي، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص67.

النساء إلى باب المحكمة في العهد الاستعماري حيث استحوذت السلطات الإدارية آنذاك على قطعة من جناح الجامع الكبير الذي كان مخصصا للنساء لتحويله إلى مصلحة إدارية للأحكام الشخصية من زواج وطلاق للأهالي، ثم استعمل الجناح الخاص بالنساء للجامع الكبير في العشرية الأخيرة كمكتب خاصّ للتّوثيق، نجد في الجهة الشمالية للجامع الكبير المركز التجاري المستحدث من طرف المستعمر الفرنسي وهو جزء من الحي التجاري القديم القيصرية،(ينظر الصورة رقم 07).

4.1. المساحة:

شكل الجامع الكبير بتلمسان مستطيل تقريبا مع اقتطاع لجزء من الركن الغربي حسب ما يبرزه المسقط الأفقي العام لجامع من الجهة الخارجة، حيث يبلغ طوال ضلعه 71.73م، وعرضه58.75م، إذ يتربع على مساحة تقدر ب 4214.13م^2، ينظر المخطط رقم 10.

5.1. طريق الوصول:

يمكن الوصول إلى الجامع الكبير بتلمسان بسهولة من مختلف مداخل المدينة عبر شوارعها الرئيسية، فالقادم من ولاية سيدي بلعباس يمكنه الوصل إليه عبر باب الجياد عن طريق سلك شارع أول نوفمبر حتى الوصول إلى الطريق المحاذية لقلعة المشور ثم الالتفاف يمينا ليسلك شارع الاستقلال ويعبر 165 متر ليجد نفسه عند الركن الجنوبي للجامع.

أما الوافد إلى تلمسان من ولاية وهران فيمكنه الوصول إليه عن طريق باب وهران وذلك بسلك نهج العقيد لطفي مرورا بالبريد المركزي جهة اليسار حتى يصل إلى تقاطعه مع شارع الاستقلال، ثم يلتف يمينا ويعبره على مسافة 95 متر ليجد نفسه عند الركن الغربي للجامع.

أما الوافد الى تلمسان من الصحراء فيصل الجامع الكبير عن طريق باب الخميس مرورا بأطلال مدينة المنصورة المرينية، ليسلك نهج جيش التحرير وصولا الى التقاطع الدئري الذي يفصله عن نهج حمصالي السايح مرورا بمحطة المصعد الهوائي، ثم الانعطاف يسارا عند باب

الحديد وسلوك شارع باريس حتى الوصول الى تقاطعه مع شارع الرائد جابر والانعطاف يمينا مرورا بمسجد سيدي بلحسن التنسي على اليمين، حيث تقدر المسافة بين سيدي بلحسن التنسي والركن الجنوبي للجامع الكبير بـ 60 متر(ينظر الصورة رقم 08).

2. وصف الجامع الكبير في نظر بعض المؤرخين:

وصف الجامع الكبير من قبل مجموعة من المؤرخين وذلك خلال فترات مختلفة من عمر هذا السرح وعبر مراحله التاريخية، ما يستشف من تكرار وصفه عند كل من رآه هو انبهارهم به، وإعجابهم بهيكله المعماري، وكذي مدى الاهتمام الذي يعنى به، رغم تعاقب وتوالي الأحداث عليه، إضافة الى زخارفه التي أبدع من قام بإنجازها في اختيار المواضيع وتقنيات التنفيذ.

1.2.وصف أبي بارجاس

عندما حاصر العرب الفرنسيين داخل قلعة المشور وعزلوهم عن الخارج إلى أن وصلوا لدرجة المجاعة قرر قائدهم قصف مئذنة الجامع الكبير ببعض نيران مدفعيته، فاختار المسلمون الحفاظ على الجامع سالما وقدموا المواد الغذائية والإمداد إلى باب قلعة المشور، وقد حوصروا داخل القلعة لمدة خمسة أشهر [1].

على يمين المحراب تقع دار الراحة التي هي على حسب بعض الروايات التاريخية كانت تظم قبور مؤسسي دولة بني عبد الواد[2] .

[1] Barges (J.J.L), Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom, sa topographie, son histoire, description de ses principaux monuments, anecdotes, légendes divers; souvenirs d'un voyage, Editeurs Benjamain (D) & Challamel (A), Paris, 1859, p,p 203,360.

[2] Ibid, p 431.

بين المحراب ودار الراحة يوجد باب يقود إلى غرفة مرتفعة وغامضة كما وصفها بارجاس، فوق هذا الباب تم اكتشاف نقش على لوح خشبي، يتعلق بمكتبة أمر ببنائها أبو حمو موسى الثاني، ويعود الفضل لهذا الاكتشاف إلى شارل بروسلار[1].

2.2.وصف شارلز مارتين جاك لالموند (1826-1904) [2]

يقع الجامع الكبير مقابل مقر البلدية، وهو معلم فخم مربع الشكل مطلي بالجير الأبيض من الخارج، مئذنته الوحيدة الملفتة للانتباه بارتفاعها الذي يتراوح بين 35و 36 متر والمبنية بالآجر ومزخرفة في أوجهها الأربعة بأعمدة صغيرة رخامية وزليج ملون مشكلا لوحة فسيفسائية، فهو نموذج منفرد لفن العمارة العربي، أرضية صحن الجامع مبلطة بالرخام الأبيض وكذا نافورة الوضوء، به أشجار ومحاط بأقواس مغلقة بأبواب خشبية مزخرفة.

يندمج هذا الصحن مع المخطط العام للجامع مباشرة مع قاعة الصلاة المدعمة بـ 72 عمودا، ولمحراب موجه للقبلة ومقبب بقبة رائعة الجمال[3].

عند الخروج من الجامع من الجهة الشرقية نجد ضريح محمد بن حسن الغماري الذي توفي سنة 1466م داخل الجامع الكبير، ثم نعبر رواق يقودنا الى ساحة المدينة[4].

[1] BARGES, op cit, p 341.

[2] كاتب ورسام ومصور http://data.bnf.fr/12369180/charles_lallemand/

[3] Lallemand.ch, L'ouest Algérien, Challamel, Paris, 1891, p 66.

[4] Ibid, p 68.

3.2. وصف آرثر دو كلاباريادة (1852–1911)[1]:

أخذ هذا الوصف يوم 11 أفريل 1895.

جزء من أرضية صحن الجامع الكبير بتلمسان ، تلك المجاورة للرواق الرئيسي لقاعة الصلاة مبلط بألواح من الرخام الأبيض الشفاف الذي أعطي اسم رخام الجزائر والذي جلب من محاجر عين تاقبالت التي تبعد ب 30 كلم عن مدينة تلمسان، وهو حجر جميل دقيق جدا، كما أن نافورة الوضوء التي تتوسط الصحن فهي أيضا مصنوعة من الرخام الجزائري.

أما الأقواس المدببة التي تحيط بالصحن من الشرق والغرب فهي متصلة مباشرة بالأقواس التي تدعم سقف قاعة صلاة الجامع التي تنقسم إلى 13 بلاطة يدعمها 72 عمودا، كما نجد ان قوس المحراب مزين بزخارف أنيقة جدا، تتربع أمامه ثريا كبيرة مصنوعة من خشب الأرز وملفوفة بشرائح من نحاس[2]، يبلغ قطر الثريا 2.5 متر، يختفي تبليط قاعة الصلاة تحت حصير سميك مصنوع من نبات الحلفة والصوف.

مئذنة الجامع مربعة الشكل مثل معظم مآذن الجزائر، ومبنية بالآجر ومزينة في واجهاتها الأربعة بأعمدة صغيرة من الرخام وقطع الزليج الملون، وبها درج يقود إلى الأعلى لا يقل عن 130 درجا[3].

---

[1] حاصل على شهادة في القانون 1873 وقام بالتدريس في جامعة جنيف، سويسرا
http://data.bnf.fr/10522270/arthur_de_claparede/

[2] صنعت هذه الثريا على يد الحرفي سي محمد بن قلفاط، ينظر: Sendicat d'initiative de Tlemcen, Tlemcen et sa région, Imp A Thiriat, toulous, 1921, p18.

[3] Arthur de Claparéde, En Algérie, librairie Fischbacher, Paris, 1896, p 155-156.

4.2. وصف بيمودون قائد القوات في ناحية وهران وتلمسان :

يعود بناء الجامع الكبير بتلمسان إلى القرن الثاني عشر وهو يحتل مع باقي المباني الملحقة به مساحة مربعة وسط مدينة تلمسان، وقد كان سابقا ملاصقا لمجموعة من المنازل المنخفضة والدكاكين الصغيرة شوارع ضيقة، الآن أزيل كل ما يحيط به من جوانبه وذلك للاستحداث شوارع جديدة وساحة البلدية ما عدا الجهة الشرقية التي بقيت على حالها وهي التي تفصل الجامع عن مستشفى صغير أسسه المسلمون، تفصله بزقاق صغير يحتوي على أقواس ترتكز على دعامات وبهذا الزقاق مقاعد حجرية يجلس عليها الفقراء طوال اليوم، ونوافير مياه عذبة يشرب منها العطشى.

عند الدخول إلى الجامع عن طريق المدخل المواجه للضريح، نجد الصحن محاط بأقواس مغلقة بأقواس خشبية منحوتة ومطلية باللون الأحمر، في وسط الصحن نجد عمودا صغيرا يحمل صحنا من الرخام وهو مطحلب، يتدفق منه الماء ويذهب إلى حوض مخصص للوضوء، بجانبه نجد حوضا آخر أكبر من الأول خصص لنفس الغرض مصنوع من الرخام أيضا، نجد في حافته العلوية زخرفة كتابية بالعربية ناعمة جدا.

وقد كانت الأسقف من قبل مغطاة بالقرميد الملون تعطي ظلال مختلفة الألوان عند مرور أشعة الشمس خلالها فتتراوح بين الأصفر والأزرق والأخضر معظمها اختفى، واستبدل بقرميد مبتذل ، أما الأرضية فقد كانت عند نزول جنودنا الى صحن الجامع مبلطة بالآجر والرخام وقد تغير مظهرها الآن.

في نهاية الصحن نجد خمس ممرات متباينة الشكل والحجم تنفتح على قاعة الصلاة التي تتكون من أروقة متعامدة محمولة على 72 عمودا، طول هذه القاعة 60 م وعرضها 20 م اذ يجانب الصحن من الجهة الطويلة، أما الأعمدة فهي قصيرة تحمل سلسلة من الأقواس الثقيلة، نجد

في جدار القبلة قبة تتقدم المحراب مخرمة ومزخرفة بزخارف نباتية وشرائط كتابية، مصنوعة من الجص المنحوت من القرءان.

على حافة الصحن نجد المئذنة التي أخليت من جميع زخارفها ما يجعلها تبدو ثقيلة بجدرانها المشيدة بالآجر الرمادي، والتي كانت في السابق تلمع عند انعكاس أشعة الشمس على الزليج الذي كان يزينها فتتألق ليصل انعكاسه الجميل إلى جميع أنحاء المدينة[1] .

والجامع الكبير بتلمسان مثله مثل معظم المساجد في تلمسان يتبع نفس النمط، فالجدران الخارجية بيضاء خالية من أي عناصر معمارية فنية ما عدا بعض البوابات المنمقة بالخزف الفخم وبعض إطارات النوافذ الأنيقة، ولا نرى من الخارج القباب ولا أقبية الأروقة لأنها مغطاة بأسقف مزدوجة الانحدار.

أما المئذنة فعادة ما تنتصب في إحدى زوايا المسجد وهي عنصر أساسي في المساجد، وهي عبارة عن برج ضخك مربع المسقط زين في جزءه الأعلى بفتحات وهمية تتخللها أعمدة صغيرة وقطع زليج، وشرفة في الأعلى محاطة بمتراس مسنن، ثم يعلوه برج أصغر مركزي يعلوه عمود من حديد جمل بكرات ذهبية.

أما في داخل المسجد فنجد أن الطريقة الوحيدة لزخرفة الجدران هي الجص المنحوت الذي وضع في أماكن مرتفعة من الجدران نظرا لحساسية المادة التي صنع منها ويبقى الجزء السفلي خاليا من الزخرفة، كما نجد أن بعض العوارض الخشبية تحمل بعض النقوش والزخارف.

[1] Le commandant de Pimodan, Oran,Tlemcen ,Sud-Oranais(1899,1900),Honoré champion Lipraire, Paris, 1902, p 87-93.

أما عن المواد المستخدمة في البناء فهي التراب المدكوك للجدران، والآجر للمآذن والخشب للتسقيف والقرميد الملون للتسقيف الخارجي، والرخام للتبليط[1].

5.2. وصف المستشرق جورج مارسي:

مخطط الجامع الكبير بسيط وتقليدي، بصحن ذو شكل مربع ذوا قياس 20 متر تقريبا، يحيط به من الجانبين الغربي والشرقي أروقة مغطاة، وهي ثلاثة بلاطات في الجهة الشرقية وأربعة بلاطات في الغربية، في الشمال نجد هيكلا إنشائيا مستعرضا ذو أربع فضاءات يحيط بالمئذنة.

تتكون قاعة الصلاة ذات الشكل المستطيل من ثلاثة عشر بلاطات متعامدة على جدار المحراب والتي يحملها ستة صفوف من الأعمدة ، معظمها تدعم أقواس نصف دائرية وأقواس ذات شكل حدوة الفرس، والبعض ذات شكل عقد منكسر في الجهة الشرقية، تقدر مقاسات البلاطات 3.20 م، ماعدا البلاطة المركزية والتي تقدر ب 4.60م، لقاعة صلاة الجامع الكبير قبتين تقع في المحور الرئيسي، واحدة قبل المحراب، والثانية في وسط الغرفة، القبة المركزية مضلعة الشكل مخرمة بأخاديد تسمح بمرور خلالها شعاع الضوء، وهي تقع قبل المحراب [2].

6.2. وصف محمد الطمار:

من بيت للصلاة وصحن مربع تتوسطه فوارتان، وتكنفه من الجهة الغربية مجنبة من أربع بلاطات، أما المجنبة الشرقية فتتألف من ثلاث بلاطات تعتبر امتدادا لبلاطات بيت الصلاة. ويشتمل البيت على 12 بلاطة عمودية على جدار القبلة، وتستند عقود الجامع على خمسة صفوف من الدعائم. وهذه الصفوف من الدعائم تقسم مسطح القاعة إلى 6 أساكيب تمتد من

[1] [1] Le commandant de Pimodan,op cit, p 85-86.

[2] George et William Marçais, les monuments arabes de Tlemcen, op cit, p 143

الشرق إلى الغرب...والبلاطة الوسطى تزيد في الاتساع عن البلاطات الأخرى على النحو المتبع في مساجد المغرب الأقصى وقرطبة، ويقطع سطحها قبتان: واحدة منهما تقع بأعلى الأسطوان الأوسط من القسم الشمالي من البلاطة الوسطى.أما القبلة الثانية فتتقدم المحراب، وهي أية من الفن الأندلسي المغربي. فهي من النوع القائم على الضلوع المتقاطعة يقوم من قاعة القبة 12 عقدا تتقطاع فيما بينها تاركة قبيبة مقرنصة. والفراغات الناشئة من تقاطع العقود تزدان بتوريقات مفرغة في الجص وتتخللها شمسيات صغيرة. والكل يؤلف منظرا رائعا يذكرنا بقباب جامع قرطبة، فلا شك أنها من صنع نحاتين أندلسيين. والطابع الأندلسي يظهر جليا كذلك في المحراب، فإنه كثير الشبه بمحراب جامع قرطبة في شكل قوسه، وفي النقوش التي تعلو هذا القوس، وفي سقفه الذي هو على صورة محارة مقسمة الى فصوص زخرفية...وكان للمسجد مقصورة تم بناؤها في رمضان سنة 533هـ/ آب 1139م في عهد على بن يوسف. وكان هذا الملك يصلي داخل هذه المقصورة...وقد بليت هذه المقصورة وأزيلت، ونجد أثرها في المتحف البلدي"[1].

ينتظم جامع تلمسان الكبير، على شاكلة الجوامع المغربية المرابطية الأخرى، في تصميم يعتمد البلاطات المتعامدة مع حائط "القبلة"، وصحن مستطيل الشكل، محاط بأروقة على الجانبين الصغيرين؛ ويمثّل النموذج المغربي الأول للعمارة الدينيّة. فالمخطّط الأصلي الذي لم يكن يحتوي على الرواقين الجديدين اللذين يتقدمان المئذنة، عبارة عن مستطيل مقطوع بمساحة مثلّثة في جزئه الشمالي الغربي، ما يمكن الإشارة إليه من خلال الوصفين السابقين هو أن كلاهما يتفق في جمالية الجامع الكبير، إلا أن جورج مارسي ذكر 13 بلاطة عمودية على جدار المحراب أما الطمار فذكر 12بلاطة.

[1] محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007، ص 48-49.

3.وصف الجامع الكبير

1.3.الوصف الخارجي:

1.3.أ. الجهات الأربعة:

الواجهتان الرئيسيتان والبارزتان للجامع الكبير في الوقت الراهن هما الواجهة الجنوبية الشرقية أو واجهة المحراب من الخارج، والواجهة الجنوبية الغربية.

بالنسبة للأول، فهي التي تقابل ساحة الأمير عبد القادر، وتظهر من الخارج على أنها مستويين يمثلان ارتفاعين لجدارين متقابلين، يشكلان رواقا بين المداخل الخارجية والمؤدية إلى قاعة الصلاة مباشرة، حيث أن ارتفاع الجدار الخارجي أقل من الداخلي الذي يكتنف المحراب، تحتوي هذه الواجهة على ثلاثة مداخل وفي الركن الجنوبي نجد ضريح سيدي مرزوق[1].

أما الواجهة الثانية فهي امتداد طولي للجامع في جهته الجنوبية الغربية حيث تبدأ من الضريح السابق الذكر، ولها مدخل يؤدي إلى مكان الدرج المستحدث الذي نستطيع من خلاله الولوج إلى محلات الوضوء الحديثة، وهي واجهة بسيطة.

بالنسبة للواجهتين المتبقيتين فهما الشمالية الغربية التي استحدثت كليا في الفترة الاستعمارية، تظهر على شكل مستوى منتظم، قبل أعمال الترميم الأخيرة التي شهدها الجامع الكبير في إطار تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية سنة 2011، احتوى في جهة الغرب على باب يؤدي مباشرة إلى محلات الوضوء، تم إغلاقه فيما بعد.

[1] ابن مرزوق الحفيد، توفي يوم الخميس 14 شعبان 842هـ، ودفن يوم الجمعة بالجامع الأعظم بتلمسان. ينظر: ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص 212.

أما الواجهة الشمالية الشرقية، فقد امتزج نصفها الشمالي ببنايات استغلت من طرف مديرية الشؤون الدينية، والنصف الشرقي فقد ظهر به بارزا احد المداخل الرئيسية للجامع، يقابله مجموعة من المحلات والأكشاك ولا يفصل بينهما إلا زقاق ضيق لا يتعد 1.5م. ينظر اللوحة رقم05.

1.3.ب. مداخل الجامع:

يحتوي الجامع الكبير على ثمانية أبواب، أربعة في الشرق وهي: باب الخرازين المؤدي إلى دكاكينهم وهو أهم أبواب الجامع، وباب دار المساكين المقابل لملجأ المسنين والفقراء واليتامى، وباب سيدي أحمد بن الحسن الغماري المؤدي إلى ضريحه، وباب يؤدي إلى الساحة الخلفية.

وله ثلاثة أبواب في القبلة وهي: باب ابن مرزوق الحفيد لقربه من ضريحه، وسمي كذلك باب المدرسة التاشفينية، وباب الجنائز الذي تدخل منه الأموات للصلاة عليهم، وباب الضحية الذي يذبح الإمام أضحية العيد بقربه، وهناك باب واحد في الشمال وهو باب ابن صعد الذي يقابل مقامه.

وللجامع بابين صغيرين في الغرب الأول هو باب دار الإمارة أو القصر القديم، وكان السلطان وحاشيته يدخلون منه أيام العيد والجمعة والثاني يؤدي إلى محلات الوضوء .ينظر اللوحة رقم 06، جاءت مقاسات أبواب المداخل تقريبا متساوية بعرض 1.70 م تتوجها أقواس نصف دائرية ترتفع عن الأرضية بـ 1.70 م أيضا.

2.3.الوصف الداخلي:

2.3.أ. بيت الصلاة

قاعة الصلاة بالجامع الكبير فضاء فسيح يحتوي على اثنين وسبعين عمودا تأخذ شكلا مستطيلا، يتألف منها ست بلاطات تشكل سبع منها امتداداً لبلاطات قاعة الصلاة، ينظر

اللوحة رقم07و المخطط رقم 10، وتحد الصحن من جهتيه الغربية والشرقية، غطيت كل بلاطة بسقف من القرميد مكون من سطحين مزدوجين، تستند عوارض الهيكل الخشبي على وصلات حاملة نحتت عليها زخرفة نباتية، وغطيت قبتا البلاطة الوسطى بسقف من القرميد رباعية السطوح، وثلاثة عشر رواقاً أوسعها الرواق الأوسط الذي يؤدي إلى المحراب تتكئ على خمسة صفوف من الأعمدة.

تنتهي الأعمدة بتيجان ربع دائرية تتكون من جزأين: علوي يرتبط بمكعب مستطيل، وسفلي اسطواني الشكل، ويتراوح عرض الجزء العلوي ما بين 25 و45 سنتيمتراً وارتفاعه ما بين 6 إلى 16 سنتيمتراً، أما السفلي فيتراوح قطره ما بين 15 و40 سنتيمتراً وارتفاعه ما بين 14 و26 سنتيمتراً، ويزين هذا الجزء صفان من أوراق الأكانتس يختلف شكلها وأبعادها من تاج لآخر، عدا تاج واحد تتساوى فيه الأوراق ارتفاعاً، بينما تبدو أوراق الصف السفلي في بقية الأعمدة أكبر من أوراق الصف العلوي، كما أن الورقة المركزية أقصر من الأوراق الأخرى المحيطة بها، وهذه الأوراق متساوية في العرض أيضاً عدا الورقة الوسطى في الصف العلوي فهي تبدو أعرض من غيرها، ولا نجد ذلك إلا في نموذجين، يتراوح هذا العرض ما بين 5 و6 سنتيمتر في أربعة تيجان ومن 12 إلى 13 سنتيمتراً في البقية بينما تتراوح سماكة هذه الأوراق ما بين 2 و9 مليمتر، ولا تتخذ أعقابها الشكل نفسه. وباستثناء الصف العلوي في عمودين فإنها تتخذ كلها شكل معين.

سبق وتحدثنا عن الأعمدة، أما الدعامات فتعددت أشكالها ومقاساتها وأهمها المربعة والمستطيلة والمشطورة في ركنين أو أركانها الأربعة وهذا تماشيا مع الوظيفة المعمارية، مقاساتها: المستطيلة 76x60سم، أما المشطورة ف 60x44سم، حيث يبلغ طول الجهتين المشطورتين المتقابلتين 15x13سم.

وجاءت الأقواس متعددة الأشكال أهمها الحدوي الذي يشبه حدوة الفرس في أغلبها، كما يمكن ملاحظة بعض الأقواس نصف الدائرية المتجاوزة والمنكسرة، كما نلاحظ بعض الأقواس المفصصة، الاتصال المباشر بين العقود في قاعة الصلاة، شكل بوائكا متناسقة ساهمت في تحديد

النظام المتقاطع للأروقة بقاعة الصلاة، والتي بدورها شكلت البلاطات والأساكيب، بنظام مركزي طارد يعتمد على التناظر إلى الخارج، كما أن البلاطة المركزية كانت الأوسع، إذ أن منبت القوس في كل سلسلة من البائكة الواحدة يرتفع عن الأرضية بـ 2.23م، ينظر اللوحة رقم08.

أما المحراب يأخذ جوفه شكل متعدد الأضلاع حماسيا تحديدا قياساته من اليمين الى اليسار 1.36، 0.90، 0.87، 0.90، 1.36م، يتكئ على عمودين محيطهما البارز من الجهتين 24سم،يعلو مدخل المحراب قوس نصف دائري متجاوز يرتفع منبته عن الأرضية بـ 2م، وتعلو جوفه قبة صغيرة وحافتان على شكل متعدد الأضلاع ولوحات مستطيلة، فالقبة فتتألف من ستة عشر جزءاً، أما اللوحات المستطيلة فعددها خمسة الكبيران بلا إطار أما الأخرى فلها أطر من النوافذ التي تزينها زخرفة نباتية، وأما الحافتان فإحداهما بثماني زوايا والأخرى بخمس وهي التي كتبت عليها بخط كوفي البسملة وآيات قرآنية.

وقد زين المحراب تزيينا طبق على عقد فتحة المشكاة الكامل الاستدارة والمتجاور على نصفي عمودين صغيرين من الرخام، نجد خلف القنطرة صنجات تحمل زخرفة على شكل غصنيّات يحيط بها عقد ذو إكليليات. وتقوم في مقدّمة المحراب قبة مخرمة آية في الجمال بتعاريق متشابكة تنشر شعاعا من ضوء النهار. ينظر اللوحة رقم09.

من خلال ما سبق يمكن أن نستنتج أن نظام الدعم والتسقيف بالجامع الكبير يعتمد على الأعمدة والدعامات التي تعلوها أقواس، مشكلة في اجتماعها الهندسي عقودا غاية في التنسيق والجمال، يعلو هذه العقود سقف خشبي في شكل جملوني غطي من الخارج بالقرميد المفلطح المستطيل، ينظر اللوحة رقم 10.

2.3.ب. الصحن

صحن الجامع الكبير ذو شكل مربع طول الضلع الواحد حولي 20 م، ينفتح على قاعة الصلاة مباشرة، إذ يطل على خمس بلاطات منها وهي البلاطات الرابعة حتى الثامنة إذا بدءنا

العد من الجهة الشرقية للجامع، تحده ثلاثة بلاطات في الجهة الشرقية وأربعة بلاطات في الغربية، في الشمال نجد هيكلا إنشائيا يحيط بالمئذنة، والصحن مفروش بالرخام يتوسطه حوضان مزينان بالزليج الملون ذو أشكال هندسية وتحيط بالصحن أبواب خشبية، تنوعت الأقواس التي تعلو أبواب الصحن الخشبية جاءت مقاساتها على النحو التالي: الأبواب التي تعلوها أقواس نصف دائرية ارتفاعها ما بين 4.66م و4.82م، أما عرضها 2.32م، يبدأ منبت القوس من 3.22م في الجهة الشرقية، أما القوس فيرتفع عن مركز دائرته ب 1.60م، أما الجهة الغربية فيرتفع منبت القوس عن الأرضية بـ 2.46م، والقوس عن المركز بـ 2.20م.

أما القوس المفصص فيبلغ ارتفاعه الكلي 5.76م وعرضه 3.67م، ويرتفع منبت القوس عن الأرضية بـ 3.74م، وارتفاع رأس القوس عن مستوى المنبت بـ 2.02م، وأخيرا الأقواس المحدبة فيبلغ ارتفاعها 4.66م، وعرضها 2.47م، أما ارتفاع منبت القوس 2.43م، وارتفاع مركزه عن مستوى المنبت 2.23م، ينظر اللوحة رقم 11.

3.3.المئذنة

تقع مئذنة المسجد الكبير في آخر الصحن في محور المحراب تقريبا وهي بهذا تخالف ما كانت عليه أغلب مآذن هذه الفترة، فهي تحتل الجهة الشمالية الشرقية من المسجد وتتألق من برجين:

3.3.أ البرج الكبير أو البدن:

لقاعدة البرج شكل مربع ويصل ارتفاع البرج إلى 26.15 متر وضلعه يساوي حوالي 6.30م وبذلك يكون هذا البرج واحدا من أطول الأبراج التي بناها بنو زيان في تلمسان، أما سطح برجها الأول فيمكن الوصول إليه عن طريق سلم يلتف حول نواة، ويبلغ طول ضلع النواة

المركزية 2.80م ويبلغ ضلع البرج من الداخل 4.72م ، أما عدد درجات السلم فيصل إلى 130 درجة عرض الواحدة يبلغ 0.95م، بينما يحتوي كل جناح على5 أو 6 درجات [1].

ويحتوي البرج كذلك على فتحات مستطيلة كما أنه ينتهي بجدار صغير كما هو الحال بالنسبة لكل الأبراج الرئيسية، ويصل ارتفاع هذا السور 1.36م وسمكه 0.52م وينتهي هذا الجدار بشرفات مسننة. وجدير بالذكر أن عدد شرفات الجامع الكبير بتلمسان يصل إلى 12 شرفة عادية و 4 شرفات زاوية. وقد اختصر الزيانيون عدد الشرفات في مآذنهم إلى النصف بسبب صغر أبعاد مآذنهم إذا ما قورنت بمآذن الموحدين.

زخرفت كل واجهة من الواجهات الأربع للبرج الرئيسي بشبكة معينات تكاد تكون متطابقة، يبلغ مجموعها 45 معينا في الجهة الجنوبية والشمالية و32 معينا في الواجهات الشرقية والغربية. ويتخذ القسم العلوي لهذه المعينات هيئة عقد رخو برأس واحدة يتناوب مع عقد رخو برأسين في الواجهة الشمالية والغربية. أما الجهات العليا فكانت مزينة بزهرية مطلية باللون الأخضر وهي تستند على بائكة من العقود على شكل حدوة الفرس تحملها أعمدة صغيرة لها شبيهاتها في مئذنة أقادير [2].

[1] Rachid Bourouiba, L'art religieux musulman en Algérie, 2ème ed., Alger: SNED, 1981, p 187.

[2] Ibid, p188- 190

3.3.ب. البرج الأصغر أو الجوسق:

يعلو الجوسق البرج الرئيسي وأبعاده أقل من أبعاد ا لأول، يبلغ ارتفاع الجوسق 4.70م ابتداء من نهاية البدن، وعرض قاعدته يساوي 2.90م. ينتهي الجوسق بقبة صغيرة يعلوها عمود معدني مثبت عليه نجمة وهلال[1].

وتتمثل قوام الزخرفة في جوسق مئذنة المسجد الكبير بتلمسان في إطار مستطيل مركب من عقد على شكل حدوة الفرس كما يحتوي الإطار على شبكة من المعينات .أما حافة هذا الإطار فقد زخرفت بإفريز من الفسيفساء الخزفية ، ويتم الصعود إلى غرفة الجوسق عن طريق درجتين توجدان على السطح الأول، ينظر اللوحة رقم 12.

4.زخارف الجامع الكبير:

1.4. مناطق الانتشار:

تغطي الزخارف معظم واجهة المحراب في حائط القبلة إذ تبدأ من أسفل منبت العقد إلى سمت قبة المحراب وعقده وكوشته وأركانه وما يحيط به من أشرطة وحشوات وأفاريز منظمة بطريقة أفقية وعمودية، بالإضافة إلى وجود الزخارف في شبابيك جصية مخرمة تعلو شريط كتابي تخلله عناصر نباتية جصية[2].

تتميز البوائك الزخرفية والحشوات النجمية الصغيرة المزينة لإطار المحراب بتناظر العناصر الزخرفية التي تقوم على ساق مركزي متداخل أو ساقين متداخلين، وكذا اعتماد قاعدة التوازن بين

[1] Rachid Bourouiba, op cit, p187

[2] عبد العزيز محمود لعرج، جمالية الزخارف النباتية في الفن الإسلامي بجامعي تلمسان الكبير وسيدي بلحسن، أعمال ملتقى دولي بتلمسان "تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني"، الجزء الأول، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011،ص 113.

العناصر بدل قاعدة التناظر في إعداد حشوتي جانبي المحراب السفليتين، وحشوات الشبابيك داخل تجويفته التي تعلو الشريط الكتابي[1].

أما سنجات عقد المحراب فيحيط بها من الأعلى شريط ممتد مع استدارة العقد، الشريط يتألف من سلسلة متتالية من أوراق الأكانتس مثلومة مدببة الأطراف سداسية وترتكز كلها على خط قاعدي رفيع[2].

أما القبة التي تتقدم المحراب الجصية المخرمة فهي دليل على مدى قدرة تحكم الفنان بمادة الجص وإمكانيته في تشكيل العناصر وحسن تنظيمها وتوزيعها، فالفنان هنا مزج بين الأشكال الهندسية على هيئة كأسية مركبة بحيث تكون كعنصر واحد مركزي تنتظم حوله في صيغة متنوعة من ورقة أكانتس تحولت إلى شبه ورقة نخيلية، لتتوزع على هيئة صفين على جانبي المحور ومنظمة بأسلوب متكرر طردي وعكسي، ومما زاد من جمال الموضوع هو تكرير الفنان للعنصر المركزي مما أوحى بالتكرار والتنوع وحسن التأليف ودقته، أما المراوح النخيلية فهي مقسمة إلى جزأين، الأول منها طويل ممتد والثاني فهو قصير منكمش على نفسه كلاهما ينطلق من ساق نباتي أو من برعم وهي مدببة الأطراف أو مجذوعة الطرف بانحراف طفيف، وقد خرمت الأطراف بين مسافة وأخرى بطريقة التماثل والتناظر[3].

في نفس القبة وعلى مستوى أسفل منطقة الانتقال نجد افريزا من بائكة معقودة تحيط بالجزء الأعلى من عقد المحراب يعلو شريط كتابي بالخط الكوفي يتناوب فيه عقدان حدويان باللون

[1] عبد العزيز محمود لعرج ،المرجع السابق، ص 214

[2] نفسه، ص 215.

[3] نفسه، ص 217.

الأبيض ثم عقد نصف دائري باللون البني ويتكون كل منها من أوراق الأكانتس محفورة بصفة متقابلة تتناوب مع أوراق أخرى بصفة متجانبة[1]. ينظر اللوحة رقم 13.

نجد داخل المحراب ثلاثة نوافذ جصية مخرمة ذات زخارف أنيقة ليس فقط بمادتها الجصية وإنما بجمال توزيع الزخارف وحسن بنائها فالفنان قام بتأليفها بطريقة متوازنة مع قلة التناظر بين عناصرها الزخرفية غلى الرغم من كثرتها وكثافتها، فقد نظمت المراوح بأحجام مختلفة حول ساق مركزي رفيع، تنمو منه تارة وتلتصق به تارة أخرى وتنتشر على جانبيه بأشكال متنوعة وقوالب وأحجام مختلفة، فتكون قائمة أو منبسطة أو مثنية، أو منعطفة على نفسها، نجدها جميعها مثلومة الأطراف وبعضها مخرم، وكما نجد أنها تنمو من ساق مستقيم أو ساق ذي ورقتين وقد ينمو بعضها من بعض[2]، ينظر اللوحة رقم 14.

2.4. تقنيات التنفيذ:

يعتبر الجص من أفضل أنواع المواد الطبيعية لتشكيل العناصر الزخرفية، وذلك لسهولة نقله وسرعة تماسكه، فبعد الحصول على المادة الأولية يمر الفنان إلى مرحلة تحضير العجينة وذلك بحرقه ثم سحقه وإضافة الماء إليه، تهيئ الأخيرة على الجدار بالسمك المطلوب للزخرفة[3]، وتطبق مجموعة من التقنيات لانجاز الزخرفة منها تقنية الحفر الغائر أو النافر، إذ تطبق هذه التقنية مباشرة على السطح المعد مسبقا بالجص وذلك عن طريق الحفر بواسطة قطعة حديدية[4].

[1] G. Marcais, Les monuments arabes de tlemcen,op cit, p 146

[2] عبد العزيز محمود لعرج ، المرجع السابق، ص217-218.

[3] نبيلة رزقي، الزخرفة الجصية في عمائر المغرب الأوسط والأندلس القرنين 7-8هـ/13-14م، مذكرة دكتوراه، قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، 2015، ص 13-14 .

[4] نفسه، ص 16

استعملت تقنية الحفر الغائر لتنفيذ زخارف واجهة محراب الجامع الكبير بتلمسان وقبة المحراب المخرمة وداخل المحراب في السبيك الجصية المخرمة.

3.4. المواضيع الزخرفية:

الموضوع الزخرفي هو أساس الوحدات الزخرفية المشكلة له، إذ تنوعت بين هندسية ونباتية والمحورة من الطبيعة، أما المواضيع الزخرفية المنتشرة في الجامع الكبير المواضيع الزخرفية النباتية المغربية الأندلسية وتنقسم الى ثلاثة أقسام من حيث النوع وهي:

أوراق الأكانتس، مراوح نخيلية، أزهار وزهيرات.

أما من حيث بناء الموضوع الزخرفي أي تنظيم العناصر النباتية وتوزيعها، فينقسم إلى ثلاثة أشكال وهي:

يتكون أساسا من عنصر محوري على هيئة جذع أو غصن أو ساق تنتظم حوله عناصر من الأكانتس أو المراوح النخيلية.

توزع عناصر من الأكانتس أو المراوح النخيلية بطريقة تناظرية أو تقابلية.

توزيع عناصر من المراوح النخيلية على الأرضية لتكون خلفية لموضوع نباتي أو كتابي وهندسي. ينظر الشكل رقم 13.

4.4. الطراز الفني:

بما أ الجامع الكبير بتلمسان قد بني على يد المرابطين وعرف بعدها تطورا على يد الموحدين، فإن الطراز المطبق في عناصره الفنية هو الطراز المغربي والذي بدأ على يد الدولة المرابطية فالموحدية

في الأندلس والمغرب[1]، فقد عرف الفن المغربي الأندلسي في العصر المرابطي تطورا كبيرا، فقد اهتم المرابطون بفن الزخرفة وخاصة النباتية منها وخير دليل على ذلك جامع تلمسان وجامع فاس، فهم لم يقفوا عند أشكالها الأندلسية التي استوحوا مواضيعها منها كجامع قرطبة ومدينة الزهراء بل ذهبوا لأبعد من ذلك ليغيروا في قالبها وشكلها طبيعتها، لتكون منطلقا لفن الزخرفة في العصر الموحدي الذي تخلص من الصيغ الأندلسية والقديمة وتصبح مغربية الطراز[2].

خلاصة الفصل:

من خلال عناصر هذا الفصل الذي تكلمنا فيه عن وصف الجامع الكبير بتلمسان، نلمس حذاقة وفطنة وذكاء المعماري الذي قام بتشييده، مراعيا بذلك قيمته كسرح ديني ومعطيا له المكانة المنوطة به كمركز إشعاعي لإحدى عواصم المغرب الأوسط في أبهى فتراتها التاريخية.

هذا ما انعكس وبصورة واضحة على كتابات المؤرخين والباحثين سواء في الفترة القديمة من خلال المصادر والمراجع، أو الفترات الحديثة من خلال البحوث الأكاديمية والرسائل الجامعية وكذا ما انتشر من مقالات وبحوث في دوريات ومجلات محكمة هنا وهناك.

ضف إلى ذلك المكانة المرموقة التي يحتلها الجامع الكبير وسط ساكنة تلمسان المدينة خصوصا والمنطقة عامة، أو حتى من زاره من خارجها، وهذا ما يستشف من خلال ما يلقاه من عناية وحالة حفظه الحالية.

[1] سيدي محمد الغوثي بسنوسي، التذوق الجمالي في العمارة الإسلامية تلمسان نموذجا، أعمال ملتقى دولي بتلمسان "تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني"، الجزء الأول، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011، ص260.

[2] عبد العزيز محمود لعرج، المرجع السابق، 218.

الفصل الثاني :

مواد وتقنيات البناء في الجامع الكبير بتلمسان

تمهيد

نظرا لما تحمله تلمسان من خصائص مناخية وجيولوجية كما سبق ذكره، حتمت على المعماري البحث عن مواد بناء محلية دون تكبد عناء البحث عنها بعيدا أو جلبها من مناطق أخرى تعد بالنسبة له إهدارا للمال والوقت، وهذا ما يشكل في تتبع مسار العمائر في تلمسان حذاقة وفطنة من قام بتشييدها لأن مادة البناء لا يمكن أن تتجاوب بالإيجاب إلا في مناطق البيئة التي تنتمي إليها، وتجعلها أكثر مقاومة ويمكن أن تستمر لأطول مدة ممكنة رغم بساطة التقنية المستعملة في تشييدها، حيث أن مبدأها الأساسي هو إعطاء تناغم وانسجام بين مكونات هذه المواد دون إحداث أي ضغط أو إجهاد يجعل منها في حالة تنافر داخلي، وتصبح عرضة لأبسط عوامل التلف والتدهور.

هذا ما نلحظه جليا في الجامع الكبير بتلمسان سواء في المواد الأولية المختارة في تشييده وعلى كامل أجزائه ومرافقه، أو من خلال الإضافات التي طرأت عليه خلال مراحل تطوره التاريخي.

1. مواد البناء:

تميزت جميع المعالم التلمسانية باستعمال مواد بناء متنوعة في بنائها متماشية مع تقنيات كانت سائدة في تلك الفترة، وقد خضعت هذه المواد في عملية اختيارها لعدة عوامل نذكر منها: وفرتها وملاءمتها للظروف الطبيعية والمناخية التي تخضع لها مدينة تلمسان، وقد استعملت هذه المواد كل حسب الفئة التي قامت ببنائه، ولو أنها لم تختلف كثيرا بحكم تقارب فترة التشييد بينها.

1.1.الحجارة :

الجمع في القلة أحجار وفي الكثرة حجار وحجارة وقال: "وكأنها من حجار الفيل ألبسها وفي التنزيل "وقودها الناس والحجارة"[1]، في الأية رقم 24 من سورة البقرة والآية رقم 6 من سورة التحريم.

الحجر بكسر الحاء وسكون الجيم: العقل مصداقا لقوله تعالى "هل في ذلك قسم لذي حجر" الآية رقم 5 من سورة الفجر، والحجر بفتحتين، صخور رسوبية كالحجر الجيري والدولوميت وصخور نارية كالجرانيت والبازيلت وصخور متحولة كالرخام[2].

ويذكر ابن خلدون:

"ويؤسس جدرانها بالحجارة يلحم بينها بالكلس ويعالى عليها بالأصبغة والجص ويبالغ في ذلك بالتجنيد والتنميق وإظهار للبساطة"[3].

[1] ابن منظور، لسان العرب، تح: ياسر سليمان أبو شاوي، ج3، المكتبة التوفيقية، 360-711هـ، ص63.
[2] عاصم محمد رزق، معجم المصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط1، مكتبة مدبولي، 2000، ص73.
[3] عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1431هـ-2001، ص510.

الصخور: هي عبارة عن مخاليط من مجموعة متنوعة من المعادن وقد تكون من معدن واحد كالجبس والرخام أو أكثر من معدن كالجرانيت وقد قسمت إلى ثلاث أنواع:

- الصخور النارية
- الصخور الرسوبية
- الصخور المتحولة

تلعب الخواص الكيميائية والفيزيائية للحجر دورا هاما في عمليات التلف التي يتعرض لها الحجر ومن أهم الخواص الكيميائية والفيزيائية التي يتميز بها الحجر:

1.1.1.الكثافة:

كثافة الحجر تعتمد بشكل أساسي على تركيبته الكيميائية والبلورية حيث تغير كثافته بتغير درجة الحرارة والضغط اللذان يتسببان في تمدد وانكماش الوحدة البنائية للحجر.

2.1.1.المسامية:

تعبر المسامية عن النسبة المئوية لحجم الفراغات الموجودة بين حبيبات المادة بالنسبة للحجم الكلي للمادة وتختلف هذه الخاصية باختلاف أنواع الصخور بالنسبة للصخور الرسوبية تكون مرتفعة عن بقية أنواع الصخور.

3.1.1.النفاذية: (أو الخاصية الشعرية)

هي نفوذ الحجر للمحاليل المائية أو العضوية والتي تعتمد على عدة عوامل منها المسامية وحجم الحبيبات المكونة للحجر[1].

4.1.1.الصلادة:

تعرف الصلادة في الحجر بقدرته على مقاومة الخدش أو الكسر وتختلف هذه الخاصية من حجر إلى آخر.

5.1.1.المقاومة الميكانيكية:

هي قدرة الحجر على مقاومة الأحمال والضغوط الواقعة عليه في الاتجاهات المختلفة وتتفاوت من صخر إلى أخر حيث تصل إلى أعلى قيمة عند الصخور النارية وبعض الصخور المتحولة[2].

استعملت الحجارة في بناء الجامع الكبير بتلمسان على عدة مستويات وأهمها الأساسات وذلك لإعطاء متانة قاعدية للجدران كما سنتطرق اليه في تقنية بناء الأساسات، أما عن نوع الحجارة فأثبتت دراسات مكاتب الدراسات بأنها يغلب عليها الحجارة الرسوبية الكثيرة الانتشار بالمنطقة مع وجود بعض استعمالات الحجارة الصوانية التي نعتقد أن مصدرها الأساسي هو مصبات الوديان لكون تلمسان غنية بمصادر المياه، كما استعملت الحجارة كعنصر إضافي لإعطاء متانة في عدة مستويات من الجدار على شكل خليط مع مواد أخرى، إلا أن حجمها في هذه الحالة يكون اصغر، كما استعملت أيضا لتكسير حواجز الضغط في التقنية المتناوبة، بعد تهذيبها وصقلها لتصبح متماشية مع الشكل المنتظم للجدار.

[1] بوسدي أسماء كريمة، الراتنجات واللدائن الصناعية المستعملة في صيانة وترميم الاثار، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الصيانة والترميم، معهد الاثار جامعة الجزائر، 2008-2009، ص332.

[2] بوسدي أسماء كريمة، المرجع السابق، ص333.

2.1.الطابية

هي مادة بنائية استخدمت في البناء بدلا من الحجارة والآجر أما من حيث المصطلح فالطابية كلمة عربية أوردها ابن خلدون في مقدمته وسماها "بالتراب المدكوك" وتتكون من خليط من مواد اللاحمة والماء والجص وبقايا الفخار والخزف المكسور وتتحول بعد التصلب إلى حجر اصطناعي شديد الصلابة[1].

مكوناتها: هي عبارة عن مركب يدمج في الرمل بالجير بنسبة 50% من الرمل و 25% من الجير و 25% من الطين ويمكن إضافة الحجر الكلسي والحصى[2] .

انتشر استعمال هذه المادة كثيرا وخاصة في الأسوار الخارجية للجامع الكبير بتلمسان، هذه المادة عبارة عن خليط من التراب الطيني أو الكلسي أو الحجارة الصغيرة، أو قطع الفخار ثم يضاف إليها الجير لتثبيتها، وقد وجدت هذه المادة على سبيل المثال في الجدار الغربي للجامع الكبير.

خواص الطابية:

1-مقاومة الضغط

2-خاصية المتانة

3-خاصية عدم النفاذية[3] .

[1] محمد عياش، الاستحكامات العسكرية المرينية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص92.

[2] محمد عياش ،المرجع السابق، ص93.

[3] خواص واختبارات المواد، الإدارة العامة لتصميم وتطوير المناهج، المملكة العربية السعودية، ص58.

3.1.الملاط

الذي يملط بالطين يقال: ملطت ملطا وملط الحائط ملطا أو ملطه: طلاه، والملاط: الطين الذي يجعل بين ساقي البناء ويبلط به الحائط أي يخلط وفي الحديث "إن الإبل يمالطها الأجرب" أي يخالطها[1].

ويعتبر الملاط مادة أساسية في البناء فهو الذي يربط بين الحجارة والأخرى وبه تقام الجدران والأسوار ويذكر ابن خلدون: "فمنها البناء بالحجارة المسجدة أو بالآجر يقام بها الذي يعقد معها ويلتحم كأنها جسم واحد...."[2].

فالملاط عبارة عن خليط يشكل مادة صلبة تربط بين مختلف عناصر البناء وعادة ما يكون مكون من الرمل والطين مع إضافة الماء، وأحيانا يكون مع مادتي الجبس والجير وهما مادتين يستخرجهما الإنسان من باطن الأرض على شكل كتل حجرية يقوم بحرقهما ثم يفتتهما[3].

4.1.الآجر

هو أكثر مواد البناء استعمالا، ويعود سبب انتشاره إلى سهولة استعماله وخاصة في الأجزاء المعقدة كالقباب والعقود والأقبية، وكذا تكاليفه المنخفضة، وتوفر المواد الأولية المستعملة في تركيبه وتكوينه، وباعتباره عازل جيد للحرارة، وقد عرف الآجر في بلاد المغرب بالآجر المشوي، مادته الأولية هي الطين، تشكل في قوالب ثم تدخل إلى الأفران، نجده بوضوح في المآذن، وقد اختلفت

[1] ابن منظور، المصدر السابق، ص192.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، المصدر السابق، ص511.

[3] محمد عياش، المرجع السابق، ص102.

تقنية وضعه وبنائه من مكان إلى آخر كما سنتحدث عن ذلك لاحقا، قد يوضع الآجر في تبليط الأرضيات كما لاحظنا ذلك في أرضيات الجامع الكبير وخاصة في جوانب الصحن، حددت مقاساته بـ (0,25م x 0,12 م x 0,04م).

5.1.الجص

الجِصُ والجَصُ: معروف، الذي يطلى به .وهو معرب،قال ابن دريد :هو الجِص ولم يقل الجَص، وليس الجَص:القَص، و رجل جَصَاص :صانع للجِص والجَصّاصة: الموضع الذي يُعمل به الجِص، وجَصَصَ الحائط و غيره: طلاه بالجِصِ ،ومكان جصَا جِص: ابيض مستو. وجصّص العنقود: هم بالخروج، وجصّص على القوم: حمل، و جصّص عليه بالسيف: حمل أيضا، وقد قيل بالضاد وسنذكره لان الصاد و الضاد في هذا لغتان، الفراء: جصص فلان إناءه إذ ملأه[1]

الجبس بفتح الجيم و الباء البطيخ و الجبس بكسر الجيم و سكون الباء- جمع أجباس – الجامد من كل شيء، و الجص الذي تلاط به البيوت، و هو خام من كبريتات الكلسيوم المهدرتة و ضرب من الحجارة تطحن و تحرق لتستخدم في البناء و منه الجبس العادي وهو نوع خشن غير نقي من المصيص المطحون المحروق الذي تلاط به الجدران، من الداخل والخارج ومنه قولهم جصص الحائط أي طلاه بالجص.

الجصاصة و الجيارة أو الجباسة هي الموضع الذي يعمل فيه الجص بواسطة الحرق في الماء، الجصاص أو الجباس أو الجيار هو صانعه، ومن مكوناته الصمغ والكلس ومساحيق الرخام وقشر البيض ويصب لزجا في قوالب وتغطى به الجدران والأسقف بعد اكتمال جفافه، كما ورد في معجم مصطلحات العمارة لعاصم محمد رزق.

[1] ابن منظور ، المصدر السابق، مج07، ص10.

ويرتبط بهذا المصطلح مصطلحان آخران، الجبس والزجاج، وهما كلمتان إحداهما الجبس ومعناها كما أسلفنا ضرب من الحجارة وتطحن وتحرق لتكون مادة من مواد البناء أنظر الشكل رقم 02، والأخرى الزجاج وهو جوهر صلب شفاف سهل الكسر يصنع من الرمل، وبذلك يكون الجبس الزجاجي في المصطلح الأثري المعماري هو نوع ممتاز من الجص[1], الذي لا يتفتت عند تحميله إلا بصعوبة بالغة وقد استخدم كثيرا في عمائر العصر المملوكي كمونة لتثبيت الطوب والحجر الذي يثبت في جدران هذه العمائر، كما استخدم كوسادة لاصقة للصق الرخام وبلاطات القاشاني[2].

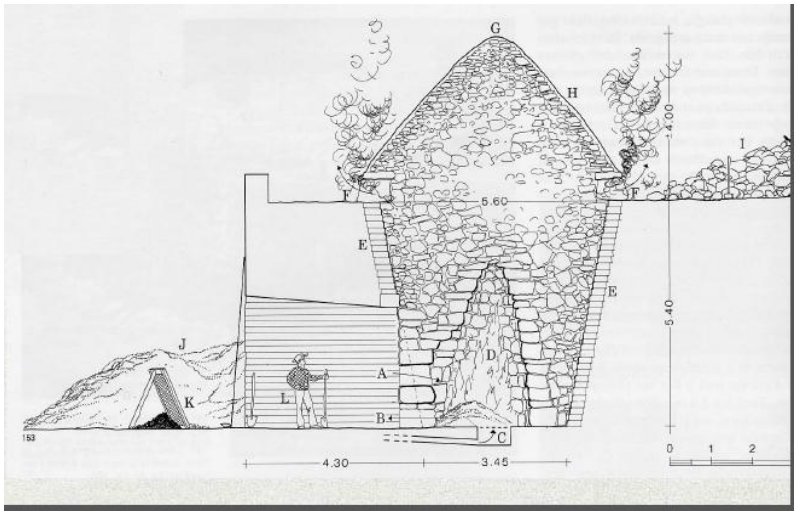

الشكل رقم 01: أفران حرق الجص نقلا بتصرف عن

Jean pierre Adam, La construction Romaine,Picard, p 72.

1.5.1.خصائص الجص:

يتميز الجص كمادة بخصائص متعددة تتمثل فيما يلي:

[1] عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص63-64 .

[2] القاشاني: بلاطات خزفية ملونة ذات زخارف كتابية أحيانا ونباتية وهندسية أحيانا أخرى كانت تكسى بها بعض أجزاء لعمائر ولاسيما القباب والمآذن والجدران : أنظر عاصم محمد رزق المرجع السابق ص 319.

- الخصائص البلورية : الجص يتبلور في الجملة أحادية الميل.

- الخصائص الفيزيائية:

* الكثافة: 2,30 إلى 2,37

* الصلابة: 2 معرفة بواسطة سلم (Mohs) [1] يمكن خدشه بظفر.

* الهشاشة: هش يسحق بسهولة.

درجة الصلابة	اسم المعدن	درجة الصلابة	اسم المعدن
1	**تالك**	6	**فلدسبار**
2	**الجبس**	7	**كوارتز**
3	**كالسيت**	8	**ياقوت أصفر**
4	**فليورين**	9	**ياقوت**
5	**أباتيت**	10	**ألماس**

جدول مقياس موه

2.5.1.مواضع استعمال الجص بالجامع الكبير بتلمسان:

[1] العالم موه أول من وضع عام 1822 مقياسا لا يزال مستخدما إلى وقتنا هذا ، تقاس عليه صلابة المواد عرف باسم مقياس موه.انظر عزت زكي حامد قادوس، علم الحفائر وفن المتاحف،مطبعة الحضري، إسكندرية،2003، ص191.

من المواد التي استغلها المرابطون في الزخرفة نجد في الدرجة الأولى الجص الذي استعمل في تزيين المحراب والبلاطة المحاذية لها وعقد الرواق الأوسط.

إذ تزيد البلاطة الوسطى في الاتساع عن البلاطات الأخرى على النحو المتبع في جوامع المغرب الأقصى وقرطبة، يقطع سطحها قبّتان، واحدة منهما تقع بأعلى الرواق الأوسط من القسم الشمالي من البلاطة الوسطى، أما القبة الثانية فتتقدم المحراب وهي آية في الفن الأندلسي المغربي.

فهي من النوع القائم على الضلوع المتقاطعة، يقوم من قاعدة القبّة اثنا عشرة عقدا تتقاطع فيما بينها تاركة قبيبة مقرنصة والفراغات الناشئة عن تقاطع العقود تزدان بتوريقات مفرغة في الجص، وتتخللها شمّاسيات صغيرة والكل يؤلف منظرا رائعا[1].إذ يعتبر أحد الروائع التي أقامها المرابطون على أرض المغرب[2].

6.1.الخشب

خشب الخشبة: ما غلظ من العيدان والجمع خشب مثل شجرة أو شجر وخشب وخشبان وفي حديث سلمان: كان لا يكاد يفقه كلامه من شدة عجمته وبيت مخشب: ذو خشب[2].

الخَشَبُ: بفتحتين جمع خُشُب بضمتين: وخشب وخُشْبان بضم الخاء وتسكين الشين القسم الصلب من النباتات والمادة الغالبة من الشجر في السيقان[3].

[1] محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة و حضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1984، ص 44-45.

2 محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة و الفنون الإسلامية في الجزائر ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2002، ص 60.

[2] ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص107.

[3]- عاصم محمد رزق، المرجع السابق، ص99.

وهو عبارة عن مادة صلبة ملتحمة ليفية تتكون من الساق والفرع والجدر وهو أكثر المواد الخام أهمية ويتكون من الكربون والهيدروجين والأكسجين[1].

1.6.1.خصائص الخشب:

أ) **الكتلة الحجمية أو الكثافة:** تختلف الكثافة الحجمية حسب نوعية الخشب وتقاس الكتلة الحجمية بوحدة قياس هي الكيلوغرام على المتر المكعب (كغ/م^3) وفي الغالب تنحصر الكتلة الخشبية ما بين 80 كغ/م^3 الى 400 كغ/م^3 .

ب) **رطوبة الخشب:** يقصد برطوبة الخشب محتوى أو كمية الرطوبة لقطعة الخشب وتختلف كمية الرطوبة بحسب عاملي الحرارة ورطوبة الهواء المحيط وهذا الاختلاف يؤثر على الوزن والأبعاد والخصائص الميكانيكية حيث يحتوي الجذع الخشبي على 80% من الماء[2].

ج) **الانتفاخ والانكماش:** ينتج عن انتفاخ وانكماش الأخشاب تغير في الأبعاد بسبب تغير الرطوبة والتي تدفع بزيادة الأبعاد أو انتفاخها وتتم هذه العملية بامتصاص الماء فيحدث الانتفاخ وبفقدانه يحدث الانكماش[3].

[1]- ربعين أعمر، تأثير عوامل التلف البيولوجية على المادة الخشبية الأثرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، صيانة وترميم، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص11.

[2] ربعين أعمر ، المرجع السابق، ص68.

[3] نفسه، ص70.

كما يتميز الخشب بخصائص ميكانيكية تميزه عن باقي مواد البناء الأخرى من بين هذه الخصائص:

د) المرونة: مقاومة الضغط، مقاومة التمدد، مقاومة الالتواء[1].

تعددت استعمالات الخشب في الجامع الكبير بتلمسان ، إذ نجدها في العديد من المواضع أبرزها الأبواب والفتحات وفي السقف وقد استعمل خشب الأشجار المتوفرة كالعرعار والبلوط.

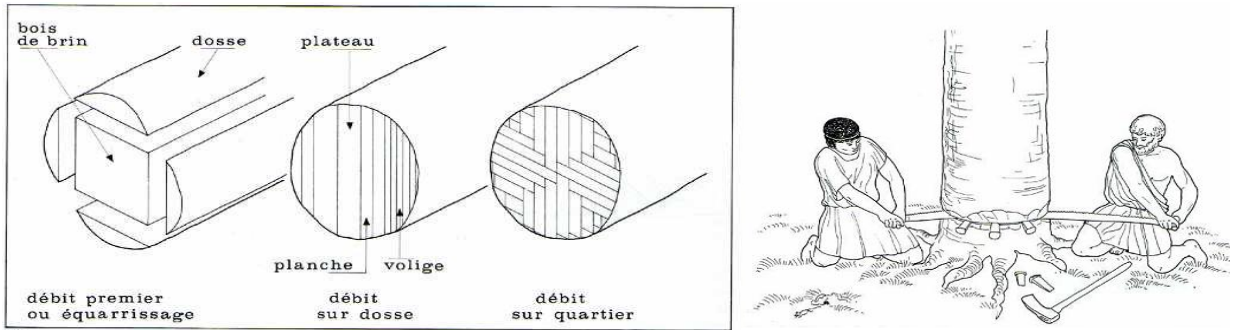

الشكل رقم 02 : تقنيات تقطيع الخشب وصنع العوارض نقلا عن

Jean pierre Adam, La construction Romaine,Picard, p 93,p101. بتصرف

7.1.مواد أخرى:

إضافة الى المواد السابقة الذكر استعملت مواد أخرى ، مثل القرميد المستعمل فوق العوارض الخشبية للسقف، كما استعمل الرخام في بعض المواقع بالمسجد كالنافرات، وعنزة الصحن وبعض عتبات السلالم في فناء الصحن، كما استعملت المعادن بمختلف أنواعها، وخاصة كإطارات للفتحات أو مساند للعوارض الخشبية، وفي جوسق المئذمة وفي الثرية، كما استعمل الزليج لتزيين المئذنة وأرضيات الجامع الكبير والإطار المحيط بنافورة الصحن

2.تقنيات البناء:

[1] نفسه، ص75.

اختلفت وتنوعت تقنيات البناء المستعملة بالجامع الكبير بتلمسان باختلاف وتنوع مواد البناء، وأهميتها وكذا توفرها بالمنطقة، وانتشارها ضمن الهيكل العام الإنشائي للبناء، إضافة إلى الحاجة إليها، كما يمكن أن نجد اندماج وتزاوج أكثر من تقنية في المستوى البنائي الواحد من أجل إعطاء متانة أكثر والبحث عن طرق تقنية مناسبة لتوزيع إجهادات الضغط الإنشائي كما يغبر عليه في تقنيات الهندسة المدنية في الوقت المعاصر، أهم تقنيات البناء المستعملة في الجامع الكبير هي:

1.2.الأساسات

الأساسات هي القاعدة السفلى لمنشأة هندسية أو بناء، ومهمتها نقل حمولات البناء إلى التربة وضمان ارتكازه على الأرض ارتكازاً ثابتاً[1]، فلابد للبناء أن يتأكد أولا من صلاحية التربية للبناء واختيار موقع ويكون اختياره تبعاً لنوع المنشأة وأسلوب التصميم وقدرة تحمّل التربة، وذلك عن طريق الحفر خنادق حتى الوصول إلى الأرض الطبيعية والتي تكون على شكل طبقة واحدة من الصخور، وتكون الأساسات في العادة مدفونة في الأرض على عمق مناسب للتأسيس، الأمر الذي وضحه المهندس المعماري الروماني فيتروفيوس في قوله أن الأساسات هي الجزء الأسفل من المباني ويجب أن توضع على أرض صلبة، وفي حال عدم وجودها يجب حفر الأرض تحتها للوصول إليها[2]. يصب أولا طبقة من الركام بحيث تكون بين 30 إلى 50 سم ثم طبقة أخرى فوقها ذات ارتفاع 30 سم مكونة من الرمل والجير مع كمية كبيرة من الماء، ثم طبقة أخرى من الحصى ذو

[1] البقري عبد اللطيف، الموسوعة الهندسية لإنشاء المباني، عالم الكتب، القاهرة، 1984، ص 39.

[2] Morgan(M H), The ten books of architecture, Ed Plain Label Books,Havard 1914, p 86.

أحجام مختلفة وتربة جافة لامتصاص مياه الطبقة السفلى، تدك هذه الطبقات بالاستعانة بمطارق خشبية لجعل البناء أكثر مقاومة وصلابة وكذا الوقوف دون حصول الآثار الجانبية للرطوبة[1].

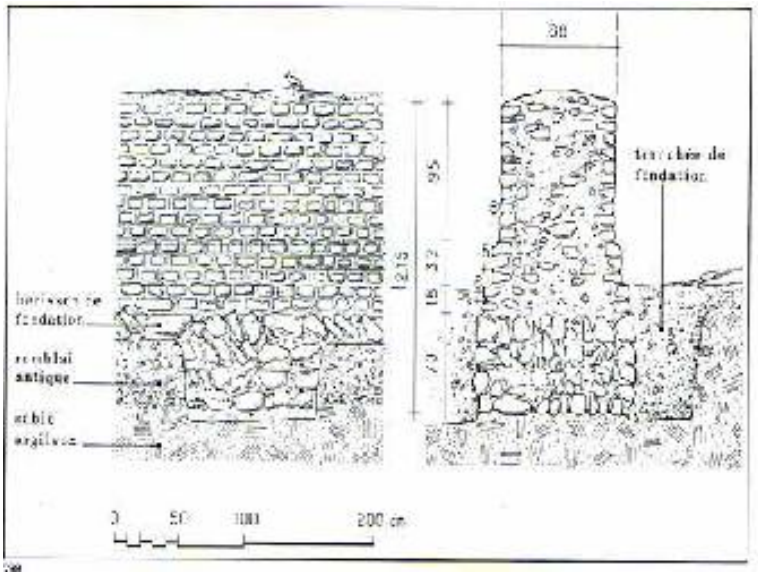

الشكل رقم 03 : تقنية بناء الأساسات نقلا بتصرف عن

Jean pierre Adam, La construction Romaine,Picard, p 137.

2.2.الجدران:

الجدران أو الحوائط هي عناصر شاقولية من البناية تفصل بين الحيزات الداخلية المختلفة أو بينها وبين الفضاء الخارجي، يتمثل دورها أساسا في جانبين الأول هو تحديد الحيز الداخلي للمجالات والثاني هو استعمالها كعنصر حامل[2]، وتشيد الجدران برص المداميك[1] أفقيا وعموديا للوصول إلى مستوى الارتفاع المراد الحصول عليه.

[1] Laaboudi N. et Lahsini F, Techniques de réalisation architecturale traditionnelle à Fès, de l'inauguration à l'achèvement du projet, mémoire de fin d'étude de l'E.N.A.,Rabat, 1986, p 101-108.

[2] نوبي محمد، نظريات العمارة، مطبعة أوفست الحديثة، أسيوط، مصر 2001،ص 10.

1.2.2. تقنية أدية وشناوي[2]:

تستعمل هذه الطريقة عندما تكون وحدات البناء ذات مقاسات متساوية وزواياها قائمة ما ينطبق على الآجر، إذ يزيد طول الآجر عن ضعف عرضها بقليل، وتوضع فيها وحدات البناء أفقيا، إذ تكون تارة على إحدى جانبيها والأخرى على إحدى واجهتيها، حيث تنجز السافة بوضع قطعة الآجر الأولى طولا على أحد بطنيها، وتوضع الثانية طولا على بطنها باتجاه داخل الجدار بحيث لا يظهر منها سوى إحدى الواجهتين، تتميز هذه الطريقة بمزايا منها قدرتها على رفع الأحمال وتحمل الضغط الأفقي والرأسي، بالإضافة إلى دورها في عزل الحرارة الخارجية بفضل سماكة الجدران[3]. وقد استعملت هذه التقنية في الجامع الكبير بتلمسان في إنشاء الدعامات بمختلف أشكالها.

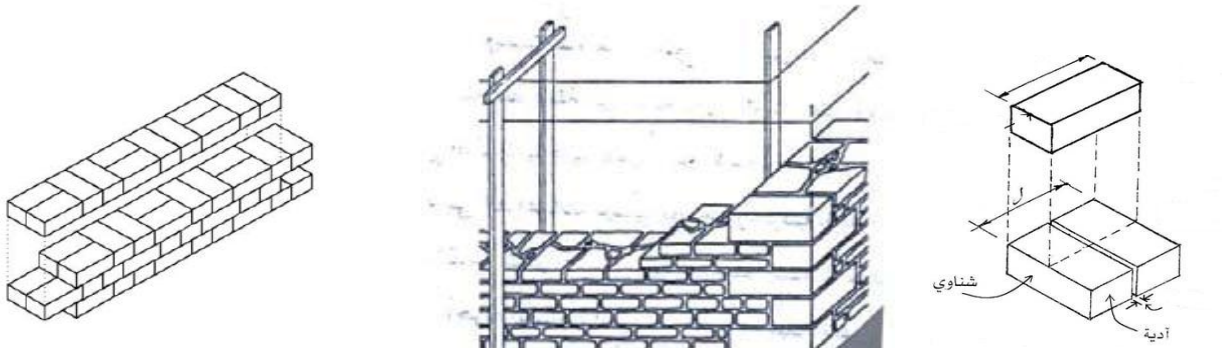

الشكل رقم 04 : تقنية أدية وشناوي

[1] مدماك – يقصد به صف من مباني الطوب أو الحجر.

[2] شناوي- يقصد به وضع الطوبة في مباني الحائط بحيث يظهر طولها علي واجهة هذا الحائط كمثل ارتفاعها 6سم وطولها 25 سم، آديه – يقصد به وضع الطوبة في مباني الحائط بحيث يظهر عرضها علي واجهة هذا الحائط كمثل ارتفاعها 6سم وعرضها 12 سم.

[3] مجموعة من المؤلفين، إنشاء معماري، الطرق التقليدية في الإنشاء، المملكة العربية السعودية، ص 10-11.

2.2.2. التقنية المزدوجة :

هي عبارة عن تقنيتين مندمجتين، حيث يبني أولا بتقنية السافات العمودية وعند الوصول ارتفاع معين، يبني المعماري عقدا دون الاستعانة بالقوالب، يظهر مندمجا في الجدار، هذه التقنية أعطت نوعا من الزخرفة مثل ما هو عليه الحال في مئذنة الجامع الكبير بتلمسان.

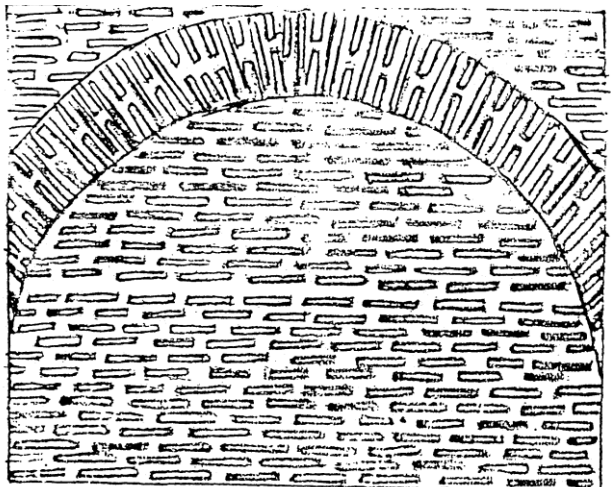

الشكل رقم 05 : التقنية المزدوجة

3.2.2. تقنية السنبلة:

تعتمد هذه الطريقة على وضع صف من قطع الآجر بشكل مائل، ثم وضع صف آخر موالي بنفش الميلان ولكن في الاتجاه المعاكس، وهي طريقة نادرة وموضعية أي أنها لا تستعمل في انجاز الجدار كاملا، يمكن اعتبار هذه التقنية بأنها زخرفية [1].

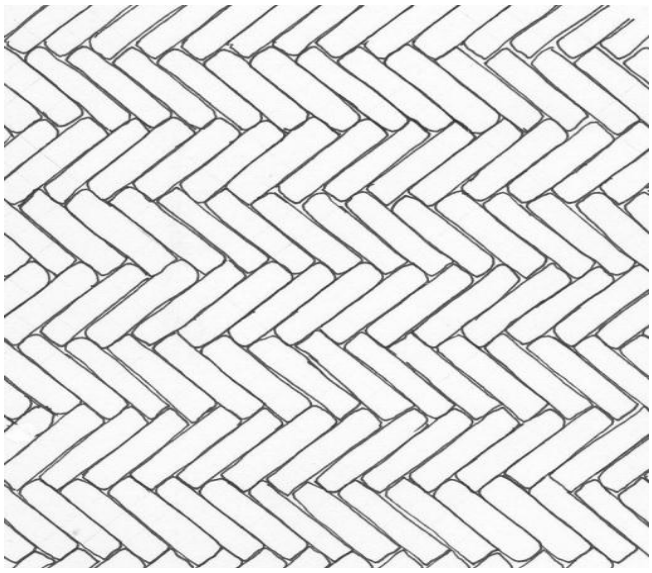

الشكل رقم06 : تقنية السنبلة

4.2.2. تقنية السافات العمودية :

تعتمد هذه التقنية على مادتي الآجر والملاط إذ توضع السافات عمودية وأفقية تلتحم فيما بينها بواسطة الملاط طولا، ونجد هذه التقنية في الجدران والمآذن.

[1] قبابلة مبارك، تطور مواد وأساليب البناء في العمارة الصحراوية، مذكرة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2009-2010، ص 106-107.

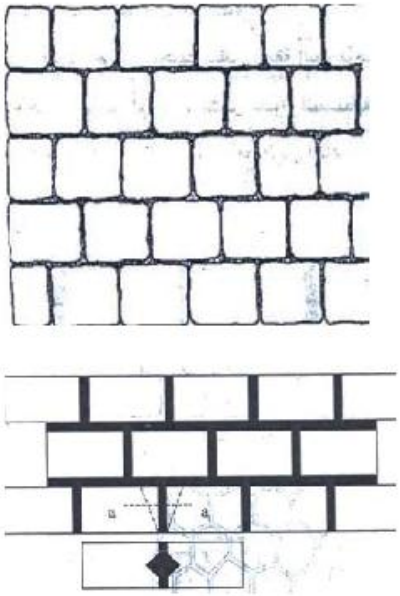

الشكل رقم 07: تقنية السافات العمودية

5.2.2.تقنية الطبقات المتناوبة:

يستعمل في هذه التقنية الآجر ومواد مختلفة بالتناوب، أهم هذه المواد هي الحجارة، وقد جسدت هذه التقنية بالجامع الكبير بتلمسان، خاصة في الأسوار التي تفصل قاعة الصلاة عن الصحن.

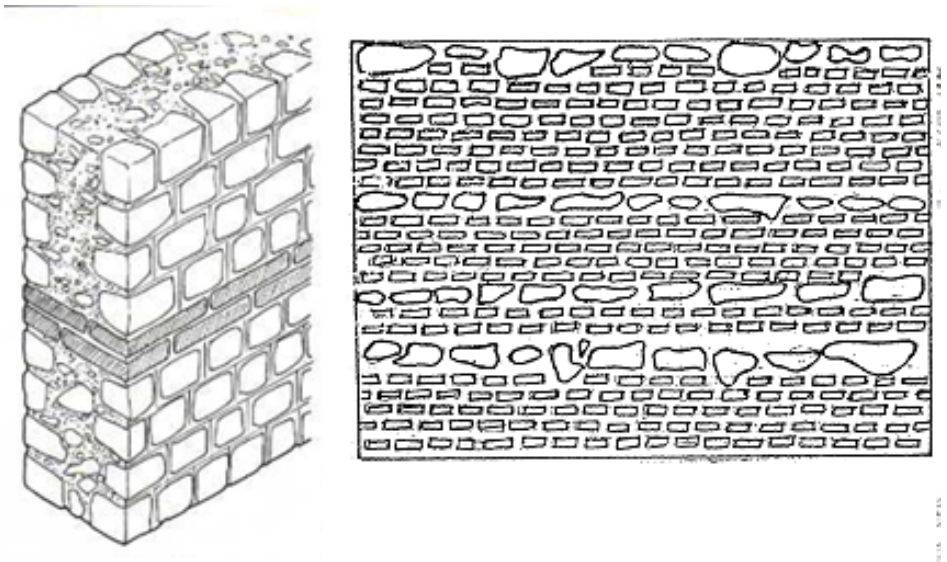

الشكل رقم 08: التقنية المتناوبة

6.2.2. تقنية التراب المدكوك

لقد لخص لنا عبد الرحمن بن خلدون البناء بهذه الطريقة ، والتي يسميها بالطابية فيقول: "...ومنها البناء بالتراب، خاصة يتخذ لها لوحان من الخشب مقدران طولا وعرضا باختلاف العادات، في التقدير وأوسطه أربع أذرع في ذراعين، فينصبان على أساس وقد بوعد ما بينهما، على ما يراه صاحب البناء في عرض الأساس ويفصل بينهما بأذرع من الخشب يربط عليها بالحبال والجدر ويسد الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما بلوحين آخرين صغيرين، ثم يوضع فيه التراب مختلطا بالكلس ويركز بالمراكز حتى ينعم ركزه ويختلط أجزاءه بالكلس والتراب وسارت جسما واحدا ثم يعاد نصب اللوحين، ويركز كذلك إلى أن يتم وتنضم الألواح كلها سطرا من فوق سطر إلى أن ينتظم الحائط كله..." [1].

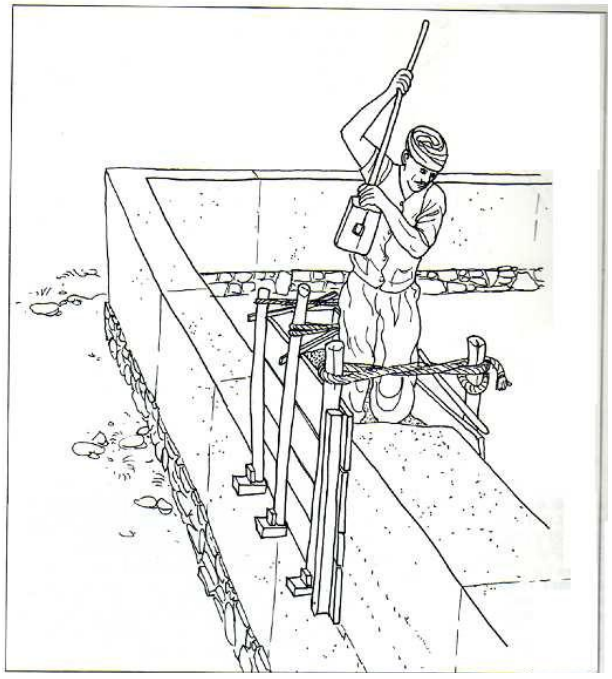

الشكل رقم 09 : تقنية البناء بالتراب المدكوك نقلا بتصرف عن

Jean pierre Adam, La construction Romaine,Picard, p 63.

[1] عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ، المصدر السابق، ص 726- 727.

3.2.نظم الدعم والتسقيف

1.3.2. الأعمدة والدعامات:

العمود والدعامة في العمارة عنصر إنشائي شاقولي داعم لسقف أو جدار أو عقد أو أسكفة، يراد منه نقل أحمال العناصر أفقية في التسقيف بحسب الحلول المعمارية الى القواعد والأساسات التي تنقلها الى الأرض، الهدف منه الاستفادة من المساحات الحرة التي توظف كفضاءات معمارية، ونجد الأعمدة والدعامات في مختلف العمائر بأحجام وأشكال مختلفة.

دائما ما يبدأ العمود بقاعدة ويتوج بجزء انتقالي يسمى تاج العمود، أما جسمه فهو الجزء القائم منه[1]، وظفت الأعمدة والدعامات في الجامع الكبير في تلمسان كما هو مبين في المخططات الأفقية للمعلم منذ النشأة الأولى له ، وخاصة الدعامات بالمختلفة الأشكال والتي لم يخرج دورها عن الإنشائي لحمل الأقواس والأسقف.

2.3.2. تقنية بناء العقود:

تبدأ العقود ببناء عناصر الدعم التي ترتكز عليها أول خطوة هي رص قطع الآجر بشكل أفقي ثم تشكل بها قاعدتان، توضع فوقها عارضة خشبية على امتداد فتحة العقد من هذه العارضة، تمد عارضتان بشكل دائم، تلتقيان في نهايتهما، نتحصل من خلالهما على مثلث، تملأ المساحة الفاصلة بين هذا المثلث وباطن العقد بخليط من قطع الآجر والملاط حتى نتحصل على حنية العقد، ثم توضع قطع الآجر التي تعتمد على قطعة وسطية، تسمى مفتاح العقد، وبعد تماسك العقد تحذف العوارض الخشبية وقد استعملت هذه التقنية في بناء جميع أنواع العقود[2].

[1] قبابلة مبارك، المرجع السابق، ص 132-133.

[2] قادة لبتر، تأثير الرطوبة على المعالم الأثرية دراسة لبعض معالم تلمسان، رسالة ماجستير، قسم علم الآثار جامعة تلمسان، 2007-2008، ص 74.

للجامع الكبير بتلمسان أقواس مختلفة الشكل منها المنكسرة والمفصصة وهي أنواع: ذات تسعة فصوص وذات الخمسة عشر: ثلاثة عشر منها كبيرة وفصان صغيران وهما الواقعان على جانبي الفص الأوسط في القوس، وهناك أقواس بخمسة وعشرين فصاً: ثلاثة عشر كبيرة وإثنا عشر صغيرة، كما توجد أشكال أخرى.

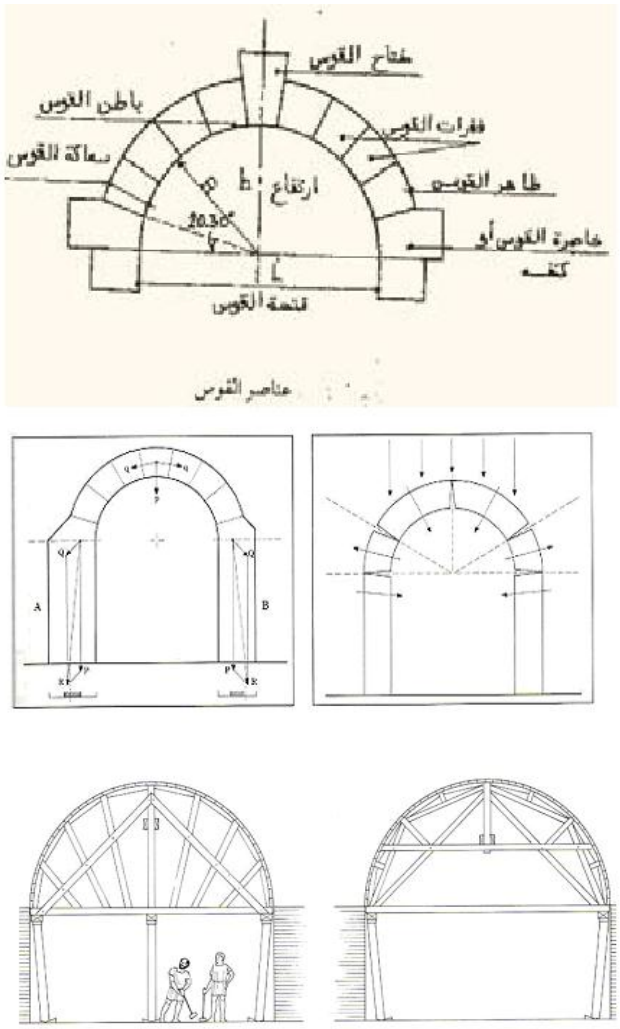

الشكل رقم 10: تقنية بناء العقود نقلا عن

Jean pierre Adam, La construction Romaine,Picard, p181;p190.

ودليل أعمال ترميم المباني الطينية والحجرية، الهيئة العامة للسياحة والآثار، السعودية، ص 53.

3.3.2. تقنية التسقيف:

المراد من التسقيف أو تغطية البناء وضع غطاء له، يحميه من المؤثرات الخارجية وخاصة المناخية، وهو السطح العلوي المغلف للحيز الداخلي ويمكن أن يكتمل تحديد الحيز به، وللأسقف أشكال مختلفة فمنها المستوى أو المائل، ومضاعف الميل، والمائل المرتكز، والمائل المتقاطع، والمركب[1]. وقد استعمل في تسقيف الجامع الكبير بتلمسان النوع المائل المضاعف حسب حجم الأروقة الحاملة له، أو ما يسمى بالسقف الجملوني.

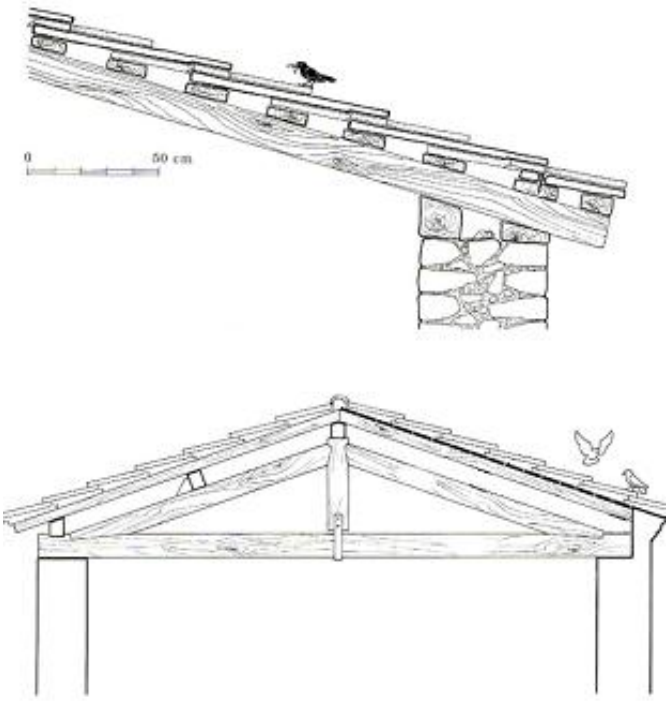

الشكل رقم 11: أشكال تقنيات التسقيف نقلا بتصرف عن

Jean pierre Adam, La construction Romaine,Picard, p 226,p232.

[1] قبابلة مبارك، المرجع السابق، ص 116.

خلاصة الفصل:

حسب ما سبق التطرق إليه، نستنتج أن تنوع تقنيات البناء في الجامع الكبير ما هو إلا نتيجة لتنوع وتعدد مواد البناء، المتاحة للمعماري في فترات التشييد المتعاقبة، كما يستشف من هذا التنوع هو سعة اطلاع البناء على قوانين الفيزياء والتحمل الميكانيكي وتوزيع قوى الثقل ميدانيا، حتى وان افترضنا عدم معرفته لها نظريا، من خلال القوانين المطبقة عليها.

كما نلاحظ وجود تناسق كبير في عملية الاختيار، وتقنيات وأساليب البناء المختارة لذلك بما يتماشى وحجم الفضاءات، وقدرة هذه المواد على الارتباط البنيوي والنسيجي، وأكبر شاهد على ذلك ردود الفعل الايجابية التي أبدتها مواد البناء مجتمعة مع بعضها البعض، عبر فترات زمنية متباعدة.

الفصل الثالث :

صيانة وترميم المعالم التاريخية في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي

تمهيد

بدأت فكرة حماية وصيانة التراث المبني في الثقافة الفرنسية منذ القرن السادس عشر وذلك مع أفكار وأبحاث مجموعة من المثقفين الفرنسيين التي حثت على الاهتمام بالتراث الوطني، من بين هؤلاء جامع التحف والمختص في علم الأنساب فرونسوا دو جينيور (1642-1715)، فقد قام بجمع مجموعة كبيرة من الرسومات التي تبرز الكثير من المعالم المبنية في فرنسا، جمعت في ما بعد في كتاب وتنشر سنة 1784 تحت عنوان "رحلة خلابة في فرنسا "[1].

وقد كانت فترة الثورة الفرنسية مابين 1789 و1799م ملهمة للعديد من مثقفي تلك الفترة لمحاولة الحفاظ على تراث الدولة وتحولت حركات جمع التحف إلى حركات حفاظ عليها من الضياع، على رأسهم الكسندر لونوار مؤسس متحف الآثار الفرنسية سنة 1795م[2]، بالإضافة إلى قيام العديد من الاحتجاجات ضد تدمير المعالم التاريخية فقد نشر فيكتور هوغو في عام 1825، أول كتيب في هذا الصدد بعنوان "على تدمير الآثار في فرنسا" الذي ندد باختفاء آثار العصور الوسطى، ليعيد نداءه في كتيب آخر سنة 1832 بعنوان" حرب على المخربين"[3]، وبهذا تكون الثورة الفرنسية عام 1789 من أهم محفزات هذه الفئة من المجتمع للتحرك ووضع البوادر الأولى في طريق الحفاظ على التراث الوطني الفرنسي[4].

---

[1] Jean Etienne Guettard; Jean Benjamin de La Borde; Edme Béguillet, Voyage pittoresque de la France, Paris, chez Lamy, 1784.

[2] Jennifer J. Carter,Recreating Time, History, and the Poetic Imaginary: Alexandre Lenoir and the Musée des Monuments français (1795-1816), A thesis submitted to McGill University in partial fulfillment of the requirements of the degree of Doctor of Philosophy, Montréalm, 2007,p 49,65.

[3] Revue des Deux Mondes, Période Initiale, tome 5, 1832 , pp 607-622.

[4] Paul iocna-prat, le patrimoine culturel entre le national et local, chances et limites de la décentralisation, thèse de doctorat, université d'angers, 2009, p79.

وعلى الرغم من سلبية فترة الثورة الفرنسية المتمثلة في التدمير والتخريب إلا أنها جاءت بأفكار ايجابية والمتمثلة في ظهور أولى قرارات تتخذ في سبيل حماية التراث[1]، في عام 1790، أنشأت الجمعية التأسيسية لجنة الآثار، المسؤولة عن وضع الإرشادات الأولى بشأن المخزون والحفاظ على الأعمال الفنية هذه اللجنة استبدلت سنة 1793 بلجنة الفنون المؤقتة[2].

1.تطور مفهوم وأغراض ترميم المعالم التاريخية لدى إدارة الاحتلال الفرنسي:

وعلى الرغم من المجهودات المبذولة للحماية التراث الفرنسي منها الخطوة الأولى من نوعها التي أقدم عليها الوزير الأول آن ذاك فرونسوا قيزو والمتمثلة في تسخير ميزانية للمعالم التاريخية [3]، إلا إن الانطلاقة الحقيقية لسياسة واضحة في هذا السياق كانت سنة 1830، والفضل في إبراز أهمية المحافظة على التراث الفرنسي تعود إلى نفس الوزير الذي قام باستحداث منصب مفتش عام للمعالم التاريخية، مقترحا لهذا المنصب لودوفيك فيتيه ليغادره سنه 1834 ليخلفه بروسبيه ميريميه ويشغل المنصب الى غاية سنه 1860 ، الذي كرس كل وقته ومجهوده لهذه المهنة فهو لم يقم بأي عمل من أعمال الترميم أو الصيانة أو الإصلاح لأي معلم تاريخي بدون إجراء بحث معمق حول تاريخ وعمارة المعلم[4].

ولمساعدة ميريمي في مهامه قام الوزير الأول قيزو بإنشاء لجنة المعالم التاريخية بتاريخ 29 سبتمبر 1837 برئاسة جون فاتو مستشار دولة وأعضاؤها الكاتب ازيدور تايلور وعالم الآثار اوغوست لوبغيفوس و المهندسان المعماريان اوغوستين كاغيستي وفيليكس دوبن و الكونت اناتول دو مونتيسكيو- فيزنزاك رجل سياسي، وبوسبي ميرمي الذي شغل منصب سكرتير اللجنة ، وفي

[1] Françoise Choay, L'allégorie du patrimoine Editions du Seuil, Paris, 1988. p3

[2] Paul iocna-prat, op cit , p87

[3] Xavier gille,Victor ruprich robert,architect(1820_1887),2013, p19

[4] Paul iocna-prat,opcit,p123-124

سنة 1840 نشرت هذه اللجنة أول قائمة تحتوي على 934 معلم وقد اعتمدت اللجنة في سنواتها الأولى على المهندسين المعماريين المحليين للقيام بعمليات الترميم حتى سنة 1840 قامت اللجنة باستدعاء مهندسين معماريين متخصصين من العاصمة باريس للاستفادة من خبراتهم بدلا من الاقتصار على المهندسين المحليين، من بين هؤلاء المهندس المعماري فيولي لوديك المشهور بأعمال الترميم التي قام بها [1].

وقد خرجت سنة 1841 بأربعة مراسيم والتي كانت بمثابة النواة الأولى لحماية المعالم التاريخية، حيث سن أول قانون صريح لتصنيف وحماية المعالم التاريخية بتاريخ 30 مارس 1887 ليدعم بعدها بقانون 1913 بتاريخ 31 ديسمبر ويكون بمثابة الأساس للقانون الفرنسي لحماية المعالم التاريخية وترميمها[2] ، للتوالى بعدها مجموعة من القوانين التي سنها المشرع الفرنسي في هذا السياق لعل أهمها القانون الذي سن في 31 ديسمبر 1913 الخاص بجرد وتصنيف المعالم التاريخية، وكذا قانون 2 ماي 1930 الخاص بحماية المعالم التاريخية، وقانون 4 أوت 1962م الخاص بالقطاعات المحمية[3].

2. ترميم المعالم التاريخية بالجزائر في ظل مصلحة الجسور والطرقات:

يختص عمل مصلحة الجسور والطرقات داخل الأقاليم المدنية، أي أنه تابع للإدارة العسكرية، تتلخص مهامه في أربعة عناصر أساسية هي:

أ) إنشاء القنوات المختلفة(قنوات التمديد بالمياه الصالحة، وقنوات الصرف الصحي).

[1] Xavier gille, op cit, p19.

[2] Paul iocna-prat, opcit, p143_133.

[3] Bensaadi Toubal Djamila, recommandation pour l'elaboration d'un processue normatif de sécurisation d'un projet de restauration,magistere, ecole polytechnique d'architecture et d'urbanisme, EPDAU,2013,p14.

ب) إضافة إلى جميع القنوات المتعلقة بالمشاريع الكبرى.

ج) المنشآت البحرية وكل ما يتعلق بالنشاط البحري مثل الموانئ والمرافئ.

د) الطرقات وشبكات المواصلات التي تعتمد على شق الطرقات والتوصيل ما بين المنشآت المدنية، المباني المدنية وكل ما صاحبها من ملاحق وهياكل مكملة لها هي على عاتق المصلحة[1].

كما يضاف إلى هذه المهام عملية المراقبة والصيانة الدورية لمختلف المنشآت التابعة للإدارة المدنية أو المنجزة لصالح الهيآت والإدارات المدنية، كما تكلف المصلحة ميدانيا بكل أعمال التهيئة العمرانية وشق الطرقات الجديدة أو الربط ما بين البنايات وإعادة هيكلتها لوظائف جديدة وإنشاء الساحات العمومية، وتبليط الأرضيات من أرصفة الى غير ذلك، وذلك وفق دراسات مسبقة.

تم استحداث مصلحة الجسور والطرقات من طرف الإدارة الفرنسية في الجزائر العاصمة بداية من 7 أكتوبر 1831م، على اثر النظرة الاستعمارية حول إعادة تخطيط المدن الجزائرية تماشيا مع الثقافة الأوروبية مستهدفة جلب عدد كبير من المعمرين[2].

تتكون المصلحة إداريا من:

مهندس رئيسي له خبرة ميدانية وتجربة خولت له الحصول على أعلى درجات الهندسة المدنية دوره إدارة المشاريع التابعة للمصلحة.

مهندسان مدنيان يعملان تحت تصرف المهندس الرئيسي دورهما التنسيق بين الإدارة والأعمال الميدانية.

[1] Khédidja BOUFENARA, Le rôle du Génie militaire dans la production des villes coloniales en Algérie. Annaba et Constantine, thèse doctorat, univ mantouri constontine, p 179.

[2] Ibid, p 180.

مهندسان من الدرجة الثانية، ومهندسان آخران من الدرجة الثالثة.

أمين عام مكلف بالمحاسبة، منسق وكاتب عام ، رسام .

تم إنشاء فرع لمصلحة الجسور والطرقات بمدينة وهران في شهر أفريل من سنة 1832م[1]، تحت إدارة المهندس بيزيرا [2]، وكمرحلة أولى أوكل لهذا الفرع مهمة التنسيق مع الإدارة المركزية والسهر على تجسيد المشاريع الخاصة بالجسور والطرقات، ثم تم تعميم المصلحة على كبريات المدن الجزائرية مثل عنابة سنة 1833م.

وعلى الرغم من الطابع العسكري الذي ميز الفترة الأولى من الاحتلال الفرنسي، إلا أن السلطات الفرنسية لاحظت ومنذ السنوات الأولى لدخولها الجزائر الإعانة الإستراتيجية والسياسية التي يمكن استخراجها من التراث الجزائري[3]، فقد اقترح المرشال سول الانطلاق في مشروع الاستكشاف العلمي للجزائر سنة 1833 م[4]، وبالفعل جسد الضباط الفرنسيون هذه المهمة في منشوراتهم التي أصدرت في هذا الموضوع منها "رحلة في إيالة الجزائر" والتي نشرها الكابيتان روزي سنة 1832م .

---

[1] Khédidja BOUFENARA, op cit, p 179.

[2] Saddek BENKADA, Savoirs militaires et modernité urbaine coloniale. Le rôle des ingénieurs du génie dans la transformation des villes algériennes : le cas d'Oran (1831- 1870), Insaniyat n°s 23-24, janvier – juin 2004, p137.

[3] كميل ريسلير ، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها(1830-1962) ، ت نذير طيار ،دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، 2016،ص 55.

[4] Perrine Ournac, Archéologie et inventaire du patrimoine national , recherches sur les systèmes d'inventaire en Europe et Méditerranée occidentale (France, Espagne,Grande Bretagne, Tunisie). Comparaisons et perspectives, thèse doctorat ,univ toulouse, France,2011,p36.

ثم تلاه الكابيتان دي كزيفوري ونشر في نفس السياق كتابا بعنوان" أمارات التاريخ في الجزائر"، بالإضافة إلى الكابيتان أزيما الذي قام بنسخ الكتابات اللاتينية التي كانت تصادفهم خلال الحملة ونشر العديد منها في صحيفة العلماء سنة 1837م.

وللقيام بتدوين كل ما يصادف الجيش خلال حملاته من معالم وآثار وأشياء فنية، قام الجنرال دانريمون بتشكيل لجنة عسكرية مختصة في هذا المجال تضم إلى جانب الضباط العسكريين مدنيين منهم أدريان بيربروجر الذي قدم الجزائر بطلب من الجنرال كلوزيل متخذا إياه كاتبا خاصا له ، ليكلف بعدها بشؤون المكتبة والآثار، وبالنظر إلى كثرة الآثار في القطر الجزائري تم التوسيع في عضوية اللجنة للتناسب مع حجم المهمة سنة 1839م، لتضم مختصين في الطوبوغرافيا وعلم الخرائط أمثال كاريت[1].

ولعل أبرز اسمين التحقا باللجنة هما أولا الرسام أدولف دولامار الذي كان ضابطا في الجيش اشتهر بمهارته العالية في الرسم استدعي للقيام بمهمة الرسم والرفع الفني للمعالم الأثرية ذات القيمة الفنية، والثاني المهندس المعماري أمابل رافوازيي الذي استدعي بسبب شهرته في مجال الرفع المعماري، الخبرة التي اكتسبها من خلال مشاركته في أعمال علمية في المجال منذ سنة 1829م، وقد ساهما كثيرا في حملة الاستكشاف العلمي للجزائر.

والملاحظ في أعمال تلك الفترة هو التركيز على محاولة المحافظة على الآثار الرومانية بالدرجة الأولى وذلك لتعزيز واقع وأسباب الاحتلال الفرنسي للجزائر بمبدأ استرجاع ممتلكات الأجداد من هذا المنطلق كان اهتمام إدارة الاحتلال الفرنسي بكل ما له علاقة بالفترة الرومانية على حساب

[1] Saddek BENKADA, op cit, p 144.

بقية الفترات التاريخية الأخرى وخاصة استكشاف كل المواقع والآثار الرومانية لجردها والمحافظة عليها[1].

إلا أن المنطق يقول أن الآثار هي رصيد وموروث إنساني مشترك دون إحداث التمييز بين مخلفات الحضارات الإنسانية إضافة إلى أن تاريخ شمال إفريقيا مرتبط بنسبة كبيرة بالفترة الإسلامية التي أغفلتها سلطات الاحتلال من حيث الحماية والمحافظة، إذا استثنينا الموضوعية في التعامل مع بعض المواقع والمعالم التي تعود إلى الفترة الإسلامية، والتي أملتها الضرورة والحاجة الملحة الميدانية إما بسبب القيمة التاريخية أو القيمة المعنوية لدى أهل المنطقة لهذه المعالم.

ومن أهم الأمثلة الميدانية لعمليات التي قامت بها المصلحة كان في مدينة الجزائر العاصمة وذلك في أكتوبر 1831م، منها إعادة تصحيح المخطط العام للمدينة، وتوسيع الطرقات وكذا استحداث الساحات العمومية بالإضافة إلى بناء الأسواق العامة وتدعيم تحصينات المدينة[2]، بما يتناسب مع متطلبات الثقافة الفرنسية، ولعل أبرز الأعمال في هذا الإطار مشروع ترميم مسجد كتشاوة وذلك بعد استقدام أول مهندس معماري للمباني المدنية بيار-أوغيست غيوشان، إلى الجزائر سنة 1832م[3]، الذي أشرف على هذا المشروع .

[1] Nabila Oulebsir, La découverte des monuments de l'Algérie. Les missions d'Amable Ravoisié et d'Edmond Duthoit (1840-1880), dans Figures de l'orientalisme en architecture (édité par C. Bruant, S. Leprun et M. Volait, REMMM, n° 73-74,1994, p72.

[2] Nabila oulebsir, les usages du patrimoine monuments musées et politique coloniale en Algérie(1830-1930), éditions de la maison des sciences de l'homme, Paris, 2004, p 84.

[3] Ibid, p 96

أعمال الترميم هذه وضحت من طرف الرسام رافوازي سنة 1839م في مجموعة من الرفعات المعمارية مستندا على رفعات المهندسين المدنيين الذين قامة بالعمل[1]، وعلى اثر زيارته الى موقع جميلة أمر الدوك دومال سنة 1839م بارسال قطع قوس النصر الهاوية على الأرض الى فرنسا ليعاد تركيبها تخليدا لانجازات الجيش الفرنسي في الجزائر مكلفا المهندس دولامار بهذه المهمة إلا أن النجاح لم يكتب لها بسبب عدم استعداد سلطة الاحتلال في مدينة الجزائر لانجاز هذه المهمة، فبني القوس في مكانه[2].

3. ترميم المعالم التاريخية بالجزائر في ظل مصلحة المباني المدنية

استحدثت مصلحة المباني المدنية بقرار وزاري في 25 مارس و 5 أوت من سنة 1843م، وقد عين هيبوليت لو با – أستاذ بمدرسة الفنون الجميلة ورئيس قطاع الهندسة المعمارية في اللجنة العلمية بفرنسا– لرئاسة لجنة المباني المدنية الجزائرية التي تدار من العاصمة الفرنسية باريس، والقصد من هذا هو توسيع المعرفة بالحضارات القديمة التي شغلت المنطقة وكذا مراقبة ومتابعة الأعمال والمشاريع المنجزة في الجزائر.

بالإضافة إلى استحداث منصب مهندس معماري للمباني المدنية الذي شغله المهندس المعماري بيار–أوغيست غيوشان الذي قدم الى الجزائر سنة 1832م[3]، قبل أن تكون المهمة موكلة الى المهندسين المعماريين، كانت تؤدى من طرف الضباط العسكريين التابعين للجيش والذين تميزوا بالخبرة الميدانية وباطلاع على مبادئ الرسم والرفعات ومختلف المراحل الميدانية التي

[1] Nabila oulebsir, les usages du patrimoine, op cit, p88.

[2] محمد بشير شنيتي، علم الآثار،دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2013، ص50.

[3] Nabila oulebsir, les usages du patrimoine, op cit, p 96

تشملها عملية المحافظة، ثم إلى مهندسي مصلحة الجسور والطرقات لذات السبب[1]، كما قام بالمهمة بعض المهندسين المرافقين للجيش الفرنسي في حملته الاستعمارية[2].

وقد تم استحداث مصلحة المباني المدنية في خضم توأمة مع مصلحة مماثلة بفرنسا تحمل نفس الاسم ولذلك لم تكن خاضعة للسلطة العسكرية والمدنية الفرنسية بالجزائر وانما التبعية المباشرة لوزارة الحرب بباريس، ما يثبت هذا الكلام تعليمات وزير الحرب، التي حددت هذا الموضوع، من أجل الوصول إلى معرفة وتحديد المجال والحالة الوقتية للمباني والمعالم، والبقايا غير المكتملة وبقايا الفترة القديمة، لهدف إنشاء دليل علمي لأهم المباني، فالضباط في الجيش والهندسة وخاصة في مصلحة الجسور والطرقات والمهندسين شبه العسكريين كانوا مدعوين للقيام بالرفوعات والرسومات ، مخططات، مقاطع، لكل ما تم العثور عليه خلال التوسع وخلال الاكتشاف، وإرفاق هذه الرسومات بملاحظات تحدد كل الشواهد التي ترجعها إلى أصلها، وإعطاء أهم المحطات التاريخية المتعلقة بها.

هذا العمل سيكون مجالا لفهم بقايا المعالم القديمة التي تحتاج إلى ترميم، والى من تعود الأولويات المصلحة المدنية أو العسكرية، إنشاء هذه الوثيقة الأرشيفية يسهل عملية إنشاء رصيد معلوماتي حول أرض الجزائر، فالبحث عن القديم يجب أن يكون بضمان المحافظة عليه والذهاب إلى الترميم إن كان بحاجة إليه[3].

وقد تم تقسيم الجزائر لثلاث مقاطعات سنة 1845م وهي الجزائر، قسنطينة، وهران. تحت تسيير القطاعين العسكري والمدني، وإعطاء صلاحيات أكبر للقطاع المدني، في نفس السنة ضمت

[1] Nabila oulebsir, les usages du patrimoine, op cit,p 96.

[2] سمي أيضا هؤلاء المهندسون بمهندسي الحملة الاستعمارية كونهم يحملون صبغة شبه عسكرية.

[3] CAOM,F,1589,Lettre de Ministere de ma Guerre, Duc de Dalmatie, au Marichal Bugeaud,gouverneur general de l'Algerie, Paris, 29 nov 1843.

الأعمال العمومية إلى وزارة الداخلية، لتقسم المهام بين كل من مصلحة الهندسة العسكرية والمصلحة المدنية بالقرار المؤرخ في 27 جانفي 1846، لتكون على النحو التالي:

أ) المصلحة العسكرية ليست مسؤولة عن القطاع المدني وتنحصر صلاحيتها إلى ما هو تابع لوزارة الحرب.

ب)بينما تم تقسيم مصلحة المباني المدنية إلى أربع مصالح هي:

ب.1) الجسور والطرقات

ب.2) المناجم والتنقيب عن المعادن

ب.3) الهندسة المدنية

ب.4) المباني المدنية

أما في ما يخص المعالم فقد طرح هذا القرار وبالتحديد في المادة رقم 06 منه الشروط الواجب توفرها من أجل التكفل بالمعالم، وهي البحث العلمي ووصف المعالم القديمة دون تمييز، تحت إشراف المفتش العام للمباني المدنية، هذا القرار مطابق للقرار المؤرخ بتاريخ 12 أكتوبر 1845 الذي جاء فيه أن أعمال المحافظة والترميم لهذه المعالم تنجز في الأقاليم المدنية، وتحت إشراف مصلحة المباني المدنية[1].

وفي سنة 1850 حدد لمصلحة المباني المدنية وبوضوح كيفية المحافظة على المعالم وذلك من خلال قرار 12 نوفمبر 1850 والمحددة بـ: البناء، الترميم، الصيانة الدورية للمعالم، والمباني

[1] Nabila oulebsir, les usages du patrimoine, op cit,p 97.

بمختلف أشكالها والتكفل بها من طرف الدولة، وكذا ترميم وصيانة المباني ذات الملكية التابعة للأهالي، بالإضافة إلى ترميم وصيانة المعالم القديمة[1].

والمثال في هذا الصدد مسجد أبي الحسن الذي قوبل بأفضلية لدى والي وهران آن ذاك لويس ماجورال الذي طلب إجراء ترميم للمعلم، مقترحا المهندس المعماري المختص بالمعالم المسيحية والمهندس الرئيسي للمباني المدنية لمحافظة وهران جيلبار أوبيت لإنجاز أعمال الترميم، كتب هذا الأخير في مارس 1853 تقريرا إلى الوالي قدم من خلاله وصفا دقيقا للمسجد وحالته، بالإضافة إلى تقرير مالي تصوري للأعمال الواجب القيام بها.

جاء في التقرير أن المسجد يشبه إلى حد ما في أجزاء منه قصر الحمراء بغرناطة، كما ذكر اختفاء الزخارف الخارجية للمسجد، إضافة إلى زخارف المئذنة وجزء كبير من الشريط المخرم الخارجي ولاحظ حالة التدهور للمعلم. وقدم مقترحات لعمليات الترميم الواجب القيم بها.

وفي تقرير ثاني رفع إلى الوالي نفسه، قدم المهندس تأكيدا حول استحالة القيام بأعمال الترميم وخاصة للتفاصيل الدقيقة للنقوش الجصية، رغم أن الوالي أبدى إصرارا لإيجاد الطرق من أجل القيام بعمليات الترميم، وخاصة فيما يتعلق بالأضرار الناجمة عن الرطوبة والعوامل المناخية، حيث تم تخفيض القيمة المالية المحددة لترميم المعلم وإعادة تنظيمها من أجل القيام بأعمال أكثر دقة وخصوصية من طرف الوالي، كما أضاف يجب أن يقوم بالعملية شخص محترف أو صاحب حرفة، وتحول العملية من عملية ترميم إلى محافظة[2].

[1] Nabila oulebsir, les usages du patrimoine, op cit,p 97.

[2] Ibid, p97.

4. ترميم المعالم التاريخية بالجزائر في ظل مصلحة المعالم التاريخية

على هامش تدمير المساجد أو استرجاعها من أجل إيجاد مراكز لاستقرار الجيش، قامت السلطات العسكرية والمدنية الفرنسية بالتعامل مع المعالم الدينية بثلاثة أوجه:

- تغيير المهام دون المساس بالهيكل الإنشائي.
- الإصلاح من أجل التماشي مع المهام الجديدة.
- إعادة التحويل.

هذه الأوجه الثلاثة تشترك في مشروع واحد ألا وهو تغير نمط هذه المعالم، وما يجدر الإشارة إليه هو توظيف مصطلح الترميم في التقارير والمراسلات العسكرية من أجل التعبير عن مختلف عمليات التدخل على المعالم الدينية في الجزائر.

وفي غياب وجود المهندس المعماري المختص في المعالم التاريخية ناب عنه المهندس المعماري المختص في المباني المدنية الذي شغل وكلف بمهمة ترميم المعالم. وحساسية ودقة وخصوصية عمليات الترميم والتدخل، فان المهندس المعماري للمباني المدنية لا يمكنه القيام بالعملية بالكفاءة التي تطبق من طرف لجنة المعالم التاريخية في فرنسا.

لذلك تم إنشاء مصلحة المعالم التاريخية بالجزائر بداية من سنة 1880م من أجل الوصول إلى القيام بعمليات ترميمية ترقى إلى الاحترافية والقوانين العالمية[1].

أولى مشاريع إعادة التهيئة للمعالم في الجزائر شهدها الجامع الكبير بالعاصمة، على أثر توسعة شارع البحرية، وكذا توسعة ساحة الحكومة على حساب مسجد السيدة غير المستغل حسب التقارير، بإتباع سياسة منتهجة من طرف سلطات الاحتلال بمشاركة ضباط سامين وأصحاب

[1] Nabila oulebsir, les usages du patrimoine, op cit,p 181.

القرار الإداري لإقناع الأهالي بهذه العمليات، كون المعالم الدينية من مقدسات المجتمع الإسلامي، فكانت محاولة السلطات بتهيئة هذه المعالم بما يتماشى ورغبة الأهالي، في مثال الجامع الكبير بالعاصمة تم تهيئة الواجهة المطلة على شارع البحرية وكذا فان الساحة فقد استعملت لعقد الاجتماعات والتجوال.

لكن فيما بعد أخذ مسار الاهتمام بالتراث المبني في الجزائر منحى جديدا وذلك بتسطير ووضع أهداف مسبقة، بصرف النظر عن مجهودات الأثريين والمهندسين المعماريين، وأوكلت المهمة إلى مصلحة المعالم التاريخية والتي مر بها مجموعة من المهندسين المعماريين على رأسهم إدموند دوتوا، ألبارت بالو، مارسال كريستوف، حيث قاموا بأعمال ترميمية باحترافية وتقنية [1].

عملية اكتشاف المعالم في الجزائر واكبت في فرنسا هيكلية إدارية جديدة وسياسة مستحدثة لحماية المعالم الفرنسية ووضع درجة جديدة للمهندسين المعمارية أو ما يسمى بالمهندسين المعماريين المرممين، ما عجل بظهور جدال واسع بين الأثريين والمهندسين المعماريين، لذلك كان من الواجب إيجاد حلول سريعة للوضع، تمثلت أساسا في إضافة عناصر جديدة لم تكن موجودة أصلا، يتعلق الأمر هنا بالمهندسين المعماريين المختصين في الترميم، من بين هذه العناصر هو وجوب احترام المعلم القديم وعدم إدخال أي تغيير عليه، ووجوب تكوين المهندسين المعماريين بطريقة أكاديمية كلاسيكية في مدرسة الفنون الجميلة, والأمر برمته هو تحول به نوع من التردد لمقاربة تخص الترميم المقام في فرنسا نحو الأقاليم الجديدة.

في الجزائر عام 1880م، تم استحداث منصب مهندس معماري رئيس للمعالم التاريخية الجزائرية، عين فيه إدموند دوتوا من طرف وزير التربية والفنون الجميلة الذي أراد تفعيل سياسة تراثية جديدة في المدن الجزائرية الكبرى.

[1] Nabila oulebsir, les usages du patrimoine, op cit, p20

حيث قام دوتوا بأعمال الكشف عن تيمقاد المدينة القديمة الذي اعتبرت بومباي الجزائر، وأكبر موقع حفرية أثرية في شمال افريقيا، وقد نجح المهندس بالو في سنة 1889م بوضع طريقة احترافية لصالح مهندسي المعالم التاريخية، هذا الأخير الذي بقي 30 سنة على رأس إدارة مصلحة المعالم التاريخية، تحت الإدارة المركزية بباريس، وتكفل بترميم الكثير من المعالم التي تعود للفترة الرومانية وأدار العديد من الحفائر الأثرية وخاصة جميلة وتمقاد .

خلال سنة 1900، قام بصياغة تقارير سنوية لوزارة التربية والفنون الجميلة حول حالة تطور الأعمال، هذه التقارير نافست التقارير التي كان يعدها الأثري ستيفن غزال الذي أشتغل كأستاذ بالمدرسة العليا للآداب بالجزائر العاصمة، والمتعلقة مباشرة بحفريات المواقع التابعة لمقاطعة قسنطينة، وابتداء من سنة 1890م شرع في صياغة حولية أثرية إفريقية منشورة من طرف المؤسسة التاريخية الجزائرية ثم من طرف المدرسة الفرنسية بروما. وساهم في تطوير طريقته الخاصة في القراءات التاريخية والتي دعمها مجموعة أخرى من الأثريين[1].

إضافة الى جيروم كاركوبينو الذي شغل منصب مساعد مفتش للآثار القديمة، وأوجان ألبيرت الذي عين في مصلحة المعالم القديمة الجزائرية التي استحدثت سنة 1923م.

ألبرت بالو واصل بصفته مهندس رئيس للمعالم التاريخية العمليات الترميمية التي بدأها دوتوا بتلمسان، وبدأ عمليات جديدة في العاصمة[2].

5. أهم الشخصيات الفرنسية في مجال التراث المبني بالجزائر في الفترة الاستعمارية:

[1] Nabila oulebsir, les usages du patrimoine, op cit,p 181.

[2] Ibid, p 182.

من خلال تتبع الأبحاث والأعمال الأثرية التي أجريت في مجال التراث الجزائري المبني من أعمال نظرية وميدانية، يمكن تمييز مجموعة مهمة لشخصيات أثرت وبشكل كبير على مسار البحث في هذا المجال، أولهم الرسام الماهر والضابط العسكري أدولف دولامار (1793-1861) الذي التحق بالمهمة اكتشاف الجزائر سنة 1839م، والثاني هو أمابال رافوازيه(1801-1870) المهندس المعماري وعضو في اللجنة العلمية لاكتشاف الجزائر منذ سنة 1839م، والشخصية الثالثة هي مهندس المعالم التاريخية إدموند ديتوا (1837-1889) الذي تتلمذ على يد المهندس المعماري الشهير فيولي لوديك، الشخصية الرابعة والذي أكمل ما بدأه ديتوا وخلفه في منصب المهندس الرئيسي للمعالم التاريخية بالجزائر، هو المهندس ألبرت بالو (1849-1939)، والشخصية الأخيرة هو ستيفن غزال (1864-1932) الذي وضع أسس المعرفية للتراث الجزائري في القرن التاسع عشر[1].

1.5. أدولف دولامار (1793-1861):

درس أدولف دولامار في مدرسة الفنون التطبيقية سنة 1812م قبل أن يلتحق بصفوف الجيش الإفريقي سنة 1830م، ليشارك سنة 1833 و1834م في معارك احتلال الجزائر، التحق دولامار باللجنة العلمية لاكتشاف الجزائر وبقي فيها من 1 ديسمبر 1839م إلى غاية 1 ماي 1845م، وكلف برسم المعالم التاريخية، إلا أنه قد قام في بداية عمله في اللجنة بحفريات بدون إذن متجاوزا بذلك صلاحياته، مما خلق نوعا من التوتر مع المهندس المعماري رافوازي الذي كانت له صلاحية القيام بهذه العمليات، وعند اكتشاف الموزاييك الشهيرة في قسنطينة التي تعرف باسم Le triomphe de Neptune et d'Amphitrite ، في شهر ماي من سنة 1842 م، كلف دولامار من قبل وزير الحرب آن ذاك المارشال سولت برسم والإشراف على مشروع نقلها

[1] Ahmed Khoumas,Chehrazade Nafa, L'Algerie et son patrimoine, Edition du patrimoine, Paris, 2003, p 14.

الى متحف اللوفر بالعاصمة الفرنسية باريس، ثم كلف بمهمة اعادة تركيبها في المتحف بعد نقلها سنة 1845 م وقد أتم المهمة مابين شهر جوان وشهر أكتوبر ينظر اللوحة رقم 15، وقد عاد الى الجزائر ما بين سنتي 1850 و1851 ليعود ويستقر بباريس ويعين كعضو دائم في الجمعية الوطنية للأثريين الفرنسية، ويتقاعد بعدها سنة 1852 م[1].

2.5. أمابال رافوازيه (1801–1870):

درس أمابل رافوازيه بمدرسة الفنون الجميلة سنة 1823م، التحق باللجة العلمية لموري[2] بفرنسا سنة 1829م، ثم التحق بعدها بمهمة العلمية لاستكشاف الجزائر سنة 1839م، وكونه مهندس معماري كلف رافوازيه بالقيام الرسومات والرفعات المعمارية والمخططات والمقاطع العرضية للمعالم التاريخي، جمعت الكثير من أعماله في كتاب سمي بـ : "الاكتشاف العلمي للجزائر خلال السنوات 1842،1841،1840 فنون جميلة وعمارة ونقوشات"، نشر ما بين سنة 1846م وسنة 1851م في باريس[3].

وما يميز رافوزي في أعماله هو انه لم يعتمد على خلفيته كمهندس معماري وانما اعتمد على علم الآثار وعلم التاريخ في تحقيق أعماله، وذلك بالتحقيق في الخلفيات التاريخية للمعالم المدروسة من قبله وكذا دراستها من وجهة نظر عالم آثار وليس فقط كمهندس معماري، أولى احتكاكاته بالتراث الجزائري كانت عند قدومه للجزائر العاصمة ومكوثه بها ثلاثة أشهر عرف من خلالها القيم الجمالية والفنية لهذا التراث، وخاصة المعالم القديمة للفترة الرومانية ثم زيارته الميدانية لبجاية، وقام بأولى رفوعاته الأثرية لأهم المعالم الرومانية بمواقع سكيكدة وعنابة، وانبهاره بما احتوته من معالم

[1] Nabila oulebsir, les usages du patrimoine, op cit, p129-130.

[2] مدينة فرنسية تقع شمال غرب فرنسا.

[3] Ahmed Khoumas,Chehrazade Nafa,op cit, p34.

وخاصة المسارح الرومانية التي حافظت على هيكلها العام، واقترح تصورا مكتملا لها لبرمجة مشاريع ترميمها[1]، ينظر اللوحة رقم16، 17.

أما على مستوى الغرب الجزائري فقد قام رافوازيه بالعديد من الأعمال منها رفع أثري للمسجد الكبير ولمسجد سيدي الهواري بوهران[2].

3.5. إدموند ديتوا (1837–1889):

هو ابن ايمي دوتوا(1803-1869) وعمه لويس دوتوا(1807-1874)، الفنانان المشهوران بمنطقة آميان اللذان اعتبرا كآخر فناني الرسم التخيلي للعصور الوسطى، اشتهر ادموند بمشاركته المتميزة في ورشات الترميم بفرنسا تحت ادارة لجنة المعالم التاريخية، واحد من الطلاب الأكثر ولاء لأوجين فيوليت لودوك المعماري الفرنسي المشهور، أشهر إعماله الترميمية لكنيسة من القرن الثاني عشر عام 1875-1878، وهذا بعد تعيينه ملحقا مفتشا بلجنة المعالم التاريخية الفرنسية بقرار من وزير التربية والتعليم المؤرخ بـ 14 ماي 1879م[3]، والتحق بقسم وهران بالغرب الجزائري حيث قام بإعداد عدد كبير من المخططات للمعالم الأثرية تحديدا في مدينتي وهران وتلمسان[4] مع إعطاء وصف تقني للمعالم التي قام بدراستها وإعدادها في كراسة خاصة به، وكان له الفضل في إبراز التطور الزخرفي والفني في معالم تلمسان من خلال مقارنتها بالفن الأندلسي[5].

---

[1] Ibid, p 36.

[2] Ahmed Khoumas,Chehrazade Nafa,op cit, p36.

[3] Nabila oulebsir, les usages du patrimoine, op cit, p330.

[4] Nabila Oulebsir, La découverte des monuments de l'Algérie.,op cit, p57-76.

[5] كما في مسجد سيدي أبي مدين بتلمسان، ينظر

Nabila Oulebsir, Les usages du patrimoine ,op cit, p330

وبعد خمسة عشر سنة من العمل في لجنة المعالم التاريخية بالجزائر ارتبط ديتوا بالفن العربي ومهد للقيام بالعديد من أعمال الترميم في الجزائر، ولعل أهمها ما قام به في تلمسان سنة1872م، أعمال ترميم مساجد تلمسان المنصورة و سيدي بومدين[1] ينظر اللوحات رقم 18،19،20 .

4.5. ألبرت بالو (1849–1939):

ألبرت هو ممثل نقابة المهندسين المعماريين الفرنسيين في أواخر القرن التاسع عشر، ولد في عام 1849 في باريس، دخل مدرسة الفنون الجميلة في باريس في عام 1868 ، أخذ المبادئ الأولى للهندسة المعمارية عن أستاذه أوغست ماني وعن والده تيودور بالو (1817–1885) الذي ساهم في تشييد العديد من الكنائس في فرنسا، ساهم ألبر بالو في بناء كلية الطب والصيدلة في بوردو (1876).

كما كان له دور بارز في إعداد مخططات للعديد من المباني والمعالم الرسمية بطابع كلاسيكي غاية في الروعة ما أهله لأن يصبح من رواد الهندسة الكلاسيكية وتصبح له أدوار فاعلة في المشاركة في عمليات الترميم للمعالم التاريخية بفرنسا.

كما ترأس مشروع الرواق المعماري الجزائري في المعرض العالمي بباريس سنة 1889م، ساهم في إعادة بناء جامعة السوربون، واستعدادا للمعرض العالمي لعام 1900، أوكلت إلى ألبرت بالو تصميم على شارع الشانزليزيه، على طراز لويس السادس عشر الذي يضم الآن جناح الإليزيه في عام 1906 قام ببناء ساحة دي لا فونتين في نيم[2].

[1] Ibid, p330

[2] Simon Texier, « BALLU ALBERT - (1849-1939) », Encyclopædia Universalis [en ligne], consulté le 27 octobre 2016. URL http://www.universalis.fr/encyclopedie/albert-ballu/

كما كانت له عدة أعمال في الجزائر بحكم تقلد منصب مهندس مستشار، من بينها محطة قطار وهران ، وكاتدرالية وهران 1906-1912 م ينظر اللوحة رقم 21، كما أشرف على العديد من الحفريات بكل من تبسة وتمقاد، وقام بنشر أهم نتائج حفرية تمقاد في مؤلف رفقة كل من بروس ويلر وكانيا، تحت إشراف مصلحة المعالم التاريخية للجزائر 1891-1905م بعنوان تيمقاد مدينة إفريقة تحت الإمارة الرومانية [1].

5.5. ستيفن غزال (1864-1932):

ولد ستيفن غزال من أب رسام بسويسرا لكنه حمل الجنسية الفرنسية، درس بالمدرسة العليا للمعلمين سنة 1883 م، ثم أصبح عضوا في المدرسة الفرنسية لروما سنة 1886-1890م، أولى أعماله الميدانية كانت عبارة عن حفريات أثرية ممنهجة سنة 1889 م مما سمح له بالحصول على تكوين ميداني ممنهج ليصبح رائدا في مجال الحفر الأثري وخاصة في الفترات الرومانية القديمة [2].

كما درس ستيفن غزال عام 1890 م في المعهد العالي للآداب بالجزائر[3]، بمرسوم وزاري في نوفمبر 1890 م ورقي غزال لرتبة أستاذ كرسي سنة 1894 م اعترافا بإسهامه العلمي.

وهي نفس السنة التي تحصل فيها على شاهدة الدكتوراه في الآداب من جامعة باريس، ليعين بعدها وتحديدا سنة 1900م مفتشا عاما للآثار الجزائرية، وهو المنصب الذي شغله لمدة ثلاثين

[1] E. Boeswillwald, R. Cagnat, Alb.Ballu, Timgad : une cité africaine sous l'Empire romain, Ernest Leroux, Paris, 1905.

[2] Picard Charles. Notice sur la vie et les travaux de M. Stéphane Gsell, membre de l'Académie. In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 91e année, N. 1, 1947, p30.

[3] الذي تأسس عام 1880م عين على رأسه ايميل ماسكوري، وساهم في تأسيس مجلة التواصل الإفريقي عام 1882م لنشر النقوش اللاتينية.

عاما، وفي سنة 1902م عين مديرا لمتحف آثار الجزائر والفن الإسلامي، وفي سنة 1929م أصبح عضوا في أكاديمية النقوش والكتابات.

قام خلال فترة إقامته بالجزائر بالعديد من الزيارات الميدانية لمختلف المواقع والمعالم رفقة مجموعة من الباحثين مثل جيروم كاركوبينو ، ليوثق هذه الزيارات بتقارير وبطاقات تقنية نشرها على شكل أطلس سمي بالأطلس الأثري لستيفن غزال، كما قام بالعديد من الحفريات الأثرية في عدد من المواقع في الشمال الجزائري، رغم استدعائه للتدريس بفرنسا سنة 1912م إلا أن غزال لم ينقطع عن بحوثه في الجزائر وذلك بتخصيص زيارات دورية[1]، ساهمت أعماله في تثمين الخارطة الأثرية للجزائر وفي إعطاء مخطط عام لكيفية ترميم معظم المعالم حسب الأولوية.

6. أثر الترميم الفرنسي على أصالة المعالم التاريخية بالجزائر:

عرفت السياسة الفرنسية المنتهجة من طرف الإدارة الخاصة على المعالم والمواقع الأثرية انعكاسات مختلفة على الجانبين النظري والميداني، إتباعا للخلفية الفكرية لمن قام بالبحث والتقصي عن هذه الآثار أولا ثم التدخل عليها في مرحلة ثانية، يمكن إفراد مرحلتين هامتين في مسار تطور مفهوم حماية وترميم المعالم التاريخية بالجزائر، الأولى نظرية تصب في خانة تبرير وتجسيد فكرة الاحتلال كما سبق الإشارة إليه في عناصر سابقة، حيث اتسمت مجمل أفكار وبحوث هذه الفترة بالذاتية ما أدى الى بروز انعكاساتها المباشرة على تعامل السلطات الفرنسية وخاصة العسكرية مع مقومات التراث المعماري والأثري الجزائري.

أما الثانية فهو تركيز جل الجهود والبحوث الميدانية على الآثار غير الإسلامية، أو تحويل وتحوير الأخيرة إلى منشآت تابعة للإدارة المحلية تتناسب وحاجياتها وتلبية لمطالب حتمية أملتها

[1] http://www.memoireafriquedunord.net/biog/biog76_Gsell.htm.

الظروف السياسة حسب رأي من قام بعملية الترميم والأمثلة على ذلك كثيرة على كامل القطر الجزائري وتلمسان خاصة، بالتركيز على المعالم الدينية.

من أهم النتائج السلبية لسياسة تعامل السلطات الفرنسية مع المعالم التاريخية بالجزائر هو هدم وإتلاف العديد من معالم القرون الوسطى والفترة الحديثة، وقد طالت هذه السياسة حتى اللقى الأثرية التي حولت إلى فرنسا بدعوى إنشاء متحف الجزائر بباريس وبيع العديد منها في السوق السوداء .

كما لا يمكن أن نغفل الانعكاسات الإيجابية للسياسة الفرنسية على المعالم والمواقع الأثرية بالجزائر من باب إعطاء كل ذي حق حقه، حيث تمثلت أساسا في اكتشاف معالم ومواقع أثرية لم يعثر عليها من قبل مطلقا والقيام بما يلزم من عمليات لتوثيقها وإنشاء أرشيف خاص بها من خلال عمليات الجرد والدراسة الميدانية، نذكر على سبيل المثال لا الحصر والتخصيص نتائج الحفريات التي قام بها الباحثون المستشرقون في مناطق متفرقة في شمال الجزائر.

خلاصة الفصل

ما يمكن الإشارة إليه والتنويه به من خلال عناصر الفصل الواردة في متنه، هو أن الترميم كمصطلح تقني لم يوظف في سياقه من طرف المصالح المتعاقبة على مهمة السهر على حماية التراث والمحافظة على مقوماته لدى الإدارة الفرنسية وخاصة المستحدثة بالجزائر، إلا في فترات متأخرة وتحديدا مصلحة المباني التاريخية .

الأخيرة استحدثت هيكلا إداريا منظما يتماشى وخصوصيات الترميم التقنية دون المساس بأصالة التراث، مع تحديد أولويات الترميم المتعارف عليها وايجاد توافق للآراء بين من يقوم بالعملية من مختصين في الآثار ومهندسين معماريين مرممين، الأمر الذي شكل عائقا في فترات سابقة، وأثر على سيرورة ونجاعة عملية الترميم.

الأمر الذي انعكس إيجابا على ترميم المعالم التاريخية بالجزائر من طرف المصلحة، بعد استفادة المختصيين المكلفين من مهندسين ومختصيين في الآثار من التجارب السابقة لمصلحة الجسور والطرقات ومصلحة المباني المدنية، والاستفادة من المواهب التي تمتع بها رواد هذه الفترة من مرميين سبق الإشارة إليهم.

الفصل الرابع:

الإضافات والتعديلات المعمارية الفرنسية على الجامع الكبير بتلمسان

تمهيد

صرح شارل بروسلار المفوض المدني لمدينة تلمسان سنة 1858 بالدور الذي لعبته تلمسان في تاريخ الجزائر وخاصة من خلال مبانيها التاريخية ذات الطابع المميز وكذا من خلال النقوش المختلفة القادمة من مختلف العصور التي مرت على هذه المدينة[1].

هذه الأهمية التاريخية للمدينة، حتمت على إدارة سلطات الاحتلال الفرنسي، التعامل مع ممتلكاتها الأثرية بنوع من الجدية، وإعطائها الأهمية اللازمة، وهذا ما نلحظه من خلال التقارير الرسمية للمجالس الإدارية والسياسية الفرنسية في العاصمة باريس، وكذا تخصيص مهمات رسمية لشخصيات بارزة للقيام بأهم الإضافات والتعديلات على التراث المبني بتلمسان.

الأمر الذي نلمسه بوضوح، في الإضافات والتعديلات المحدثة على الجامع الكبير بتلمسان، والذي سنتكلم عنه في عناصر لاحقة من هذا الفصل، وأهمها تقارير جلسات المجلس الأعلى لمحافظة وهران، في الفترة الممتدة من 1842 الى 1894م.

[1] Chabouillet A, Comité impérial des travaux historique, revue des société savants, tome 5,Paris 1858, p 291-292.

1.أشغال تهيئة محيط الجامع:

ضمت تلمسان مجموعة معتبرة من المساجد أغلبها ذات مساحة صغيرة، أما مسجدها الجامع فيقع في وسط المدينة وهو أكبر مبانيها بمئذنته المتميزة، وتقع القيصرية في شماله وهي عبارة عن سوق متغلغلة في شوارع المدينة بمحلات مزدوجة معظمها انحصر في تجارة الحايك، وبالقرب من القيصرية يقع منزل البايلك والذي لا يتكون إلا من بعض الغرف وهي في حالة سيئة و من خمس أفنية محاطة بأروقة تظهر على شكل أنقاض[1].

وقد ألحق بالجامع الكبير في عهد أبو حمو موسى الأول العديد من المباني منها المراحيض وغرفة الوضوء، وهي مبني مستطيل الشكل يقع شمال الجامع مما يسمح للمصلين الوصول إلى هذه المرافق دون المرور بقاعة الصلاة أولا، نجد شرق الجامع مستشفى للفقراء والمساكين وضريح الغماري.

أما في الواجهة الجنوبية فنجد المحكمة في الجهة اليمنى من المحراب والتي قد هدمت بدواعي تهيئة المدينة على يد الحكومة الفرنسية، وقد كانت هذه المحكمة تحتوي على مكتبة بنيت سنة 1359 على يد ابو حمو الثاني، وبهذا تكون أبعاد الجامع قد تقلصت على يد الحكومة الفرنسية[2].

في الفترة الممتدة ما بين 1842-1843 تم إبعاد كل الردوم والأنقاض المحيطة بالجامع الكبير والتي شوهت مظهره، وتم عزل الجامع عن المباني المحيطة به، حيث تم تقوية كامل الجدران وتدعيمها وطلائها بالجير الأبيض هذا من الخارج [3].

---

[1] Ministère de la guerre, tableaux de la situation des établissements français dans l'Algérie 1839, Imprimerie Nationale, paris 1840, p 289.

[2] Benguella sonia wassila, Le processus d'appropriation des places Emir abdelkader et Khemisti de la ville de Tlemcen, magister, departement d'architecture, univ tlemcen, 2012, p 120-121.

[3] Ministère de la guerre, tableaux de la situation des établissements français dans l'Algérie 1842-1843, Imprimerie Nationale, paris 1844, p 122.

المخطط رقم 03: الجامع الكبير وما يحيط به نقلا بتصرف عن

Benguella sonia wassila, Le processus d'appropriation des places Emir abdelkader et Khemisti de la ville de Tlemcen,p 120

فأولى مشاريع التهيئة بالمدينة من طرف فرنسا هي استحداث الطرقات التي ساهمت في إنتاج النسيج العمراني الحالي للمدينة، أدت هذه الحركة إلى التأثير المباشر بهيكل الجامع الكبير، في سنة 1887 تم فتح الطريق الجديد وهو شارع النصر المقابل لمقر البلدية، وقد تم إعادة هيكلة الساحة المقابلة في شكل منتظم المقاسات، حيث تم تقسيمها الى ساحتين كما في السابق، فأخذت الساحة الأولى اسم عاصمة الجزائر بدلا من ساحة القوافل، والساحة الثاني اسم القديس ميشال بدلا من اسم ساحة الفندق.

بحيث كانت بناية البلدية في طور الانجاز ولما تم التفرغ من بنائها سنة1941 تم تحويل اسم الساحة المقابلة لها من ساحة القديس مشال إلى ساحة البلدية [1].

[1] Benguella sonia wassila, op cit, p129.

وقد ذكر تقرير جاء خلال أحد جلسات المجلس الأعلى سنة 1875 بأن مواد البناء المحلية المستعملة كلها في حالة سيئة، خاصة مواد بناء مستشفى وملجأ الأهالي المحاذي للجامع الكبير وهي بحاجة إلى إصلاح أيضا[1].

من بين المباني التي كانت تحيط بالجامع الكبير بتلمسان هي مجموعة الدكاكين، والتي كانت مصطفة من الناحية الجنوبية للجامع، إلا أنها قد هدمت هي الأخرى بدواعي فتح ساحة القديس ميشال، هذا حسب برنامج التهيئة التي أعدته السلطات الفرنسية في هذا السياق سنة 1877[2] .

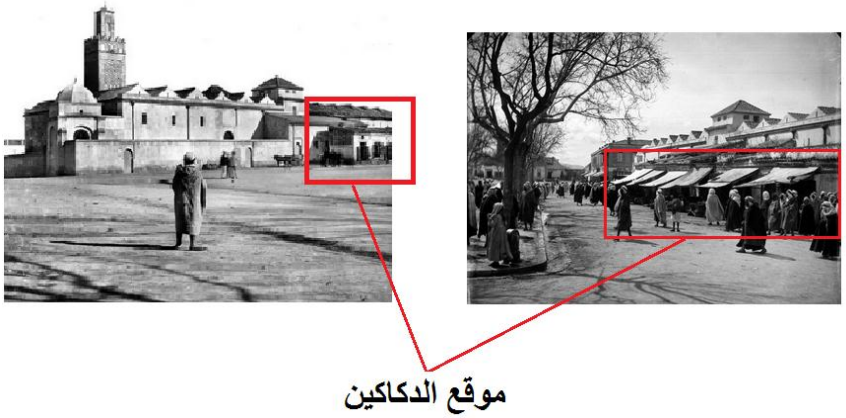

اللوحة رقم 01: موقع الدكاكين في الواجهة الرئيسية للجامع الكبير نقلا عن

https://www.delcampe.net/fr

[1] Conseil générale de la province d'Oran, rapport de M le préfet Verbaux-des séances, typographie Ad Perrier, Oran 1875, p 311.

[2] Benguella sonia wassila, op cit, p129

2. التدخلات على السور الخارجي للجامع:

شهد الجامع الكبير بتلمسان مجموعة من الإصلاحات التي أقيمت على هياكله نظرا للحالة التي كان عليها، وذلك خلال الفترة الممتدة ما بين 1842الى 1849 وهذا وفق التقارير المقدمة من طرف مصلحة الهندسة العسكرية التابعة إداريا للمصالح العسكرية، حيث خلال هذه الفترة عرفت مجموعة كبيرة من المعالم التاريخية[1] وخاصة المساجد الأثرية بتلمسان[2] هذه الإصلاحات، والتي خصص من أجلها مبلغ قدر ب4000 فرنك[3].

وفي سنة 1873 قام المهندس هامون بتقديم تقريرا للمجلس الأعلى حول حالة بعض المباني التي تتطلب حالتها تدخلا لإصلاحها، من بين هذه المباني الجامع الكبير بتلمسان، الذي يرى أن عناصر هذا البناء على امتداده وطبيعة المواد المستخدمة في تشييده فقيرة وسيئة لهذا تحتاج الى صيانة دورية وقد قدر القيمة المالية لهذا التدخل ب 800 فرنك[4]، ينظر الصورة رقم 01:

[1] Ministère de la guerre, tableaux de la situation des établissements français dans l'Algérie 1846-1849, Imprimerie Nationale, paris 1851, p 366.

[2] هذه المساجد هي : مسجد سيدي بومدين، سيدي ابراهيم، سيدي الحلوي، ينظر المرجع السابق ص 366.

[3] Ministère de la guerre, tableaux de la situation des établissements français dans l'Algérie 1846-1849, op cit, p 365.

[4] Conseil générale de la province d'Oran, rapport de M le préfet Verbaux-des séances, typographie A Dupont, Oran 1873,p,p,64,74.

الصورة رقم 01: نقلا عن: http://picclick.fr/Alg%C3%A9rieTlemcen-Minaret-de-la-Grande-Mosqu%C3%A9e-Vintage-371382560522.html

وقد حمل المجلس الأعلى في إحدى جلساته المقامة شهر أكتوبر سنة 1875 أن الجامع الكبير بتلمسان يحتاج إلى تدخل وإصلاح استعجالي، نظرا لحالته الجد سيئة حيث سقطت جميع طلاءات الجدران الداخلية والخارجية، إضافة إلى تهديد الجدران المقابلة لساحة البلدية بالانهيار[1].

الأمر الذي أكد عليه المهندس دوتوا في تقريره حول معالم تلمسان، فعلى حسبه فإن الجدران الكبرى كلها مبنية بالتراب المدكوك وهي متصدعة من كل جانب ومدعمة بصفة غير متساوية على ركائز وأقواس ضعيفة وغريبة الشكل[2].

[1] Conseil générale de la province d'Oran, 1875,op cit, p 311

[2] Duthoit E, rapport sur les monuments historiques de l'Algérie architecture musulmane dans la province d'Oran, Manuscrit, p40.

3.التدخلات على ضريح سيدي مرزوق:

لم يستثنى ضريح سيدي مرزوق من أعمال التدخل التي أجريت على الجامع الكبير الأمر الذي أكد عليه دوتوا في تقريره حيث قال:" لا يمكن أن نغادر الجامع الكبير دون الإشارة إلى أن ضريح سيدي مرزوق الذي هدم كان موجودا في ظهر الزاوية الجنوبية الشرقية من هذا البناء"، كما أضاف قائلا:

"في هذه القبة أو حواليها، كشف شارع سان ميشال عن عدة طبقات فوق بعضها بعض من القبور، حيث تحمل كثير منها كتابات مهمة من المنظورين التاريخي والمعماري، وأغلبها موجودة الآن بمتحف تلمسان، حيث وضعت تحت عناية السيد لوفابفر المهندس الذي كلف مدة طويلة بإدارة أشغال الجامع الكبير. وفي هذا المكان قبور أمراء وقضاة وعظماء الشخصيات الذين توفوا بتلمسان منذ القرن 13" [1]. ينظر اللوحة رقم 22.

4.أشغال صيانة و ترميم بيت الصلاة وقلع المقصورة:

"حافظت تلمسان على جامعها الكبير ووصل إلينا في حالة جيدة فهو قد حافظ على الزخارف الجصية التي تثري المحراب والمناطق المحيطة به، ويتقدم المحراب قبة تعلو تقاطع البلاطة الوسطى والمجاز، هذه القبة تحتوي على أقواس متقاطعة تحدها جسور مخرمة وهي قريبة في شكلها من القبو المضلع في العمارة الأوربية، وهي بتفاصيلها المقامة بالجص المنحوت تقدم مثالا فريدا من نوعه على العمارة المغربية" [2]، الأمر الذي صرح به جورج مارسيه. ينظر اللوحة رقم 23.

[1] Duthoit E, rapport sur les monuments historiques de l'Algérie, Manuscrit, op cit, p49.

[2] George Marcais, L'art musulman en Algerie, Gazette de Beaux-Art , tome 3, Paris, 1930, p 361-362.

أما من داخل البناية فقد تم في الفترة الممتدة ما بين 1842-1843 استحداث منبر جديد وإعادة صنع وبناء النوافذ والأبواب، كما تم إصلاح السقف الخشبي وتغطيته بالقرميد، وقد تم تخصيص لهذه المهمة كلفة قدرت ب 10.000 فرنك، وتم إعطاء عنوان محدد لهذه المهمة هو إصلاح الجامع الكبير بتلمسان، من طرف مصلحة الهندسة العسكرية التابعة للإدارة العسكرية[1].

وقد خصص المجلس الأعلى في ميزانيته لسنة 1862 مبلغا ماليا لإصلاحات كبير في الجامع الكبير بتلمسان بقيمة 1500 فرنك تحت إشراف الهيئات المدنية، وهذا باقتراح من المحافظ مدينة تلمسان، قدم هذا الاقتراح السيد كالملز نيابة عن لجنة الأشغال العمومية في جلسة المجلس الأعلى المنعقدة يوم 23 سبتمبر1861، من بين هذه الأشغال إصلاح سقف قبة المحراب الجامع الكبير[2].

من بين التقارير التي أعطت للجامع الكبير حقه من الناحية الفنية هما تقريران الذي قدمهما المهندس دوتوا، رفعهما الى وزير التعليم والفنون الجميلة الأول بتاريخ 10 ديسمبر 1872[3]، والثاني ما بين 1875و 1879[4]، أما الأول فقد قدم من خلاله اقتراحا لتصنيف الجامع الكبير من بين المعالم التاريخية[5]، كما ذكر خلاله أن قبة المقصورة قد تم ترميمها في سنوات الأخيرة من

[1] Ministère de la guerre, tableaux de la situation des établissements français dans l'Algérie 1842-1843, op cit, p 122.

[2] Conseil générale de la province d'Oran, rapport de M le préfet Verbaux-des séances, typographie Ad Perrier, Oran 1861, p,p 156,200.

[3] Duthoit E, rapport sur une mission scientifique en Algerie, Archive des mission scientifique et litteraire; choix de rapports et instructions publié sous les auspices du ministère de l'instruction publique et des cultes, tome 1, paris, 1873, p 306.

[4] Duthoit E, rapport sur les monuments historiques de l'Algérie, Manuscrit, op cit.

[5] Duthoit E, rapport sur une mission scientifique en Algerie, 1873, op cit, p325.

قبل المهندس لوفابفر كما أوضح خلاله أن الثريا التي تتقدم المقصورة في حالة سيئة جدا[1]، أما التقرير الثاني ج فهو يرى أن:" كل الزخرفة مركزة داخل صحن الجامع المركزي، وخاصة في المقصورة والمحراب، في عمق المقصورة ينفتح المحراب، حيث زخرفة كثيفة تحيط به وتغطي الجدران والأقواس.

يعلو المقصورة قبة جذابة، وهي بحسب رأي دوتوا في تلك الفترة أجمل ما أبدع الفن العربي من حيث الاكتمال والإنجاز، وصرح بأن هذه الأشياء لا يمكن وصفها مطلقا، حتى الرسم لا يمكنه أن ينقل رونقها ورونق النور الذي يتخلل من تخريم القبة، فيقع قطرات نور تكشف بالتدريج نقوش المقصورة الرائعة، وسط ظلمةٍ ورِعة وشاعرية تغشى على الدوام باقي الأجزاء من هذا المبنى العظيم.

وأضاف دوتوا تقريره: "تنتمي هذه الزخارف إلى أسلوب متميز لا نجده إلا هنا، باستثناء الكتابات المنقوشة التي نجدها دائما وفي كل الزخرفات العربية، أما باقي النقوش والتفاصيل من هذا الجزء من الجامع فلا توجد في أي بناية في الجزائر. إن الجامع في مجمله عظيم وراسخ ويبعث على السكينة؛ خطوطه رسمت بدقة وأبهاؤه حسنة الترتيب، يمكن أن تستشف تأثير مخلفات العمارة الرومانية العتيقة ببوماريا من خلال استعمال توريق الأكانتس في تناسق رائع في جميع الزخارف العامة والتوريقات التي تزين كل العصائب. عديد الترميمات أدت إلى اختفاء كل آثار التلوين، هذا إن لم تكن موجودة أصلا،[2] أو أننا لا نجد إلا بعض الآثار السوداء والحمراء في عمق النقوش التي تزين الأقواس"[3]. ينظر الشكل رقم 12:

[1] Duthoit E, rapport sur une mission scientifique en Algerie, 1873, op cit, p317.

[2]- صرح دوتوا في هامش تقريره ما نصه:"لدى إشرافي سنة 1878 على ترميم الواجهة الداخلية للمحراب، تمكنت من التعرف في عمق الأجزاء المنقوشة على آثار عديدة للونين الأحمر والأزرق، مما يسمح لي أن أتجاوز هذا التشكيك أصلا".

[3] Duthoit E, rapport sur les monuments historiques de l'Algérie, Manuscrit, op cit, p41-43.

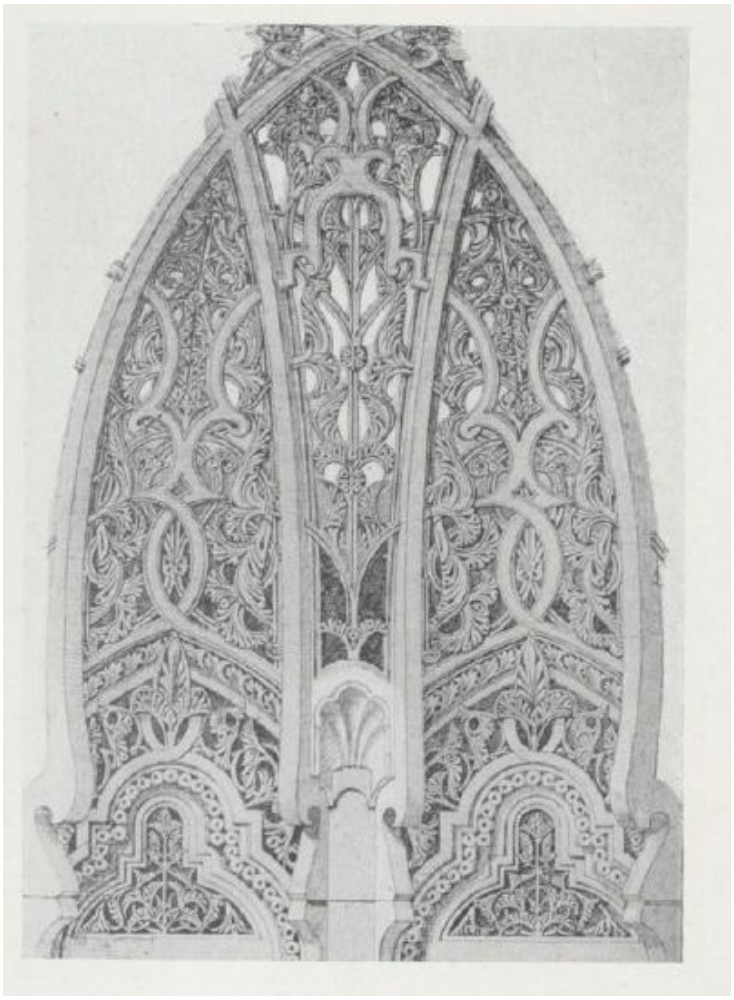

الشكل رقم 12: زخارف قبة المقصورة، رسم دوتوا

نقلا عن: Lucien Magne, L'Art appliqué aux métiers, decor de la terre, LIBRAIRIE RENOUARD; paris,1913,p 9

وقد أكد دوتوا في التقرير نفسه أن المقصورة منذ سنوات قليلة فقط، كانت مثل جوهرة مرصعة محفوظة في علبة من خشب الأرز، ذات ألواح مركبة بتعقيد كبير، يعلوها تاج تكسية مفصص تغطيه زخارف عربية (أرابيسك) عريضة. بعض هذه التكسيات وضعت بالمتحف، أما باقي الخشب المزخرف فقد تآكل في معظم جهات قاعة الصلاة التي تكتظ به[1].

[1] Duthoit E, rapport sur les monuments historiques de l'Algérie, Manuscrit, op cit, p43.

وقد زود رصيد متحف تلمسان من طرف مصلحة المعالم التاريخية بأخشاب انتزعت من المسجد الكبير بتلمسان وذلك على فترات متقطعة [1].

5. نافذة المحراب (إفريز المحراب):

قام الضابط العسكري أوجين لوفي بإهداء متحف انسي ANNECY قطع أثرية جلبها من تلمسان خلال الفترة التي مكثها بها بين 1876 و 1878 وهي قطع انتزعت من أماكن مختلفة هي : الجامع الكبير ومسجد سيدي بلحسن والمدرسة التشفينية، حيث وجدنا هذا النص الذي يدل أن الأخير نقل قطعة النافذة من الجامع الكبير أثناء فترة مكوثه بتلمسان:

" الجامع الكبير بتلمسان الذي بني على يد الملثمين المرابطين القادمين من السنغال والذين بسطو سيطرتهم على جزء كبير من شمال افريقيا واسبانيا، لعل أهمها القطعة المقولبة من نافذة مخرمة بطريقة بارعة مستوحات من الفن القرطبي"، وقد جلب قطعة النافذة من محراب الجامع الكبير بتلمسان، وهي مخرمة ومزينة بأشكال نباتية ، طولها 0.59 م و عرضها 0.41 م "[2]، ينظر الصورة رقم 02.

[1] وليم مارسيه، مقتنيات متحف تلمسان، تعريب الرزقي شرقي، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 15.

[2] Prosper Ricard, Les documents d'Art Maghrebin du musée d'Annecy, La revue savoisienne, Fabry, Annecy, 1934, p 106-108.

FRAGMENT DE FENÊTRE DU MIHRAB DE LA GRANDE MOSQUÉE ALMORAVIDE DE TLEMCEN, CONSERVÉ AU MUSÉE D'ANNECY, XII[e] SIÈCLE (MOULAGE).

الصورة رقم 02: نافذة المحراب نقلا عن

Prosper Ricard, La revue savoisienne, Fabry, Annecy, 1934, p108

6. أشغال تهيئة الصحن

ذكر دوتوا في التقرير السابق الذكر:" تنفتح أقواس الجامع على فناء داخلي له أبواب بدائية من خشب الأرز، حيث لا يزال جزء من هذه الأبواب ظاهرا لكن بتفاصيل بسيطة على الرغم من تزيينه بمسامير البرونز، وهذا عمل فظ وبشع.

يغلق الفناء عشرون قوسا يعلوها من ثلاث جهات إفريز شباك حسن المشهد ولا يزال يحتفظ ببلاطه المرصع بالعقيق الذي سلب من جامع المنصورة.

بلاطتان رائعتان تشكلان أرضية المحراب الخارجية، وهما حتما من نفس المصدر. ومن المنصورة أيضا أحضرت نافورة الوضوء الكبيرة بالقرب من باب الجهة الشمالية"[1]. ينظر الصورة رقم03.

الصورة رقم03: صحن الجامع الكبير سنة 1865 تصوير Joseph Pedra

نقلا عن http://www.luminous-lint.com/__phv_app.php?/p/Joseph__Pedra

[1] Duthoit E, rapport sur les monuments historiques de l'Algérie, Manuscrit, op cit, p46.

ومن خلال الصور التي التقطت خلال السنوات اللاحقة فإننا نلاحظ التغيرات التي طرأت على صحن الجامع الكبير، والمتمثلة في تغيير التبليط وكذا وضع سياج حديدي حول نافورة الوضوء، ينظر اللوحة رقم 02.

صحن الجامع الكبير تصوير A. Beglet سنة 1890

نقلا عن: http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr

صحن الجامع الكبير، سنة 1893 نقلا عن : Ahmed Khoumas,Chehrazade Nafa, L'Algerie et son patrimoine, Edition du patrimoine, Paris, 2003, p 118.

اللوحة رقم 02: صحن الجامع الكبير خلال سنتي 1890و 1833م

وقد ذكر تقرير صدر سنة 1911 بأن أعمال ترميم و تدعيم قد تمت في صحن الجامع الكبير، وذلك من خلال إعادة تهيئته بوضع ألواح الرخام بدل التبليط الذي كان من قبل، إضافة إلى تركيب مقاعد الوضوء التي وضعت حول نافورة الوضوء[1]، الأمر الذي تؤكد عليه بعض الصور المأخوذة من صحن الجامع الكبير سنة 1913، كما هو واضح في الصورة رقم 04.

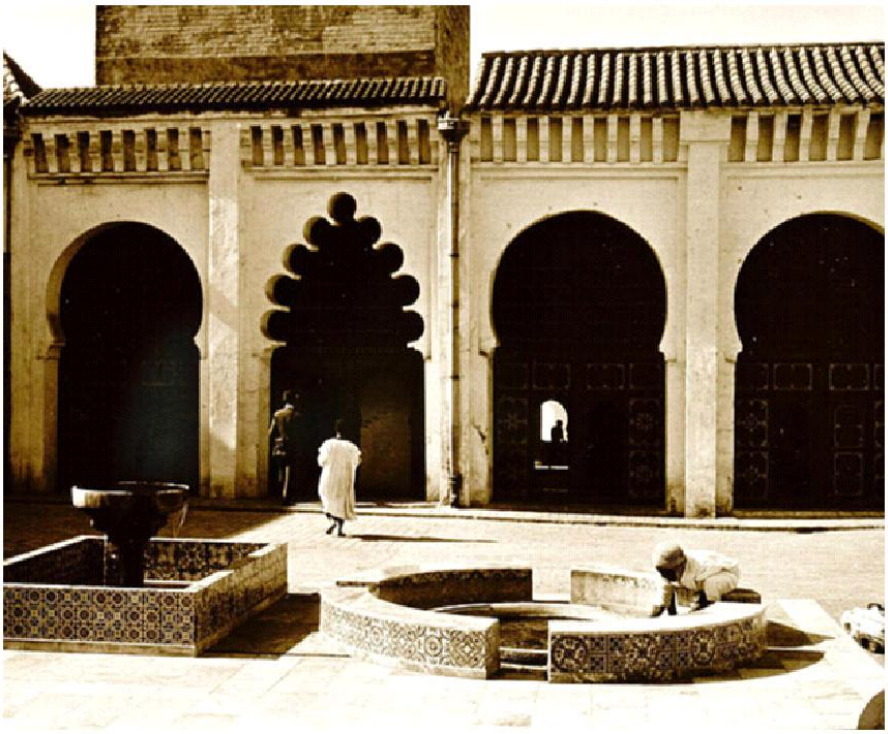

الصورة رقم 04 :صحن الجامع الكبير بعد تثبيت مقاعد الوضوء نقلا عن

http://www.culture.gouv.fr/public/mistral/memsap_fr

[1] Lutaud ch, Exposé de la situation général de l'Algerie 1911, Imprimerie Administrative Victore Heintz, alger, 1912, p 14.

7. أشغال التدخلات على المئذنة

اتخذت فرنسا نفس السياسة التي اتخذتها في جميع المدن التي وقعت تحت سيطرتها بخصوص إصلاح المساجد، ومنها الجامع الكبير بتلمسان الذي رمم سنة 1842 والذي تعرض للتخريب خلال الحرب بقنابل مدفعية المشور وقد كلف المشروع الخزينة الفرنسية 10000 فرنك[1]، في الفترة الممتدة ما بين 1842-1843 تم إعادة بناء ما تضرر من أجزاء المئذنة وكذا الجدران المتضررة[2].ينظر الصورة رقم 05.

الصورة رقم 05: مئذنة الجامع الكبير بعد قصفها بمدفعية المشور نقلا عن: الأستاذ الرزقي شرقي

نعود مرة أخرى إلى تقرير دوتوا الذي وصف حالة المئذنة وما كانت عليه: " المئذنة، كما اشرنا أعلاه، بنيت في نهاية القرن 13، وهي برج مربع الشكل عرضه 7 أمتار وارتفاعه 32مترا و50 تقريبا، بما في ذلك البناء الصغير الذي يعلوه. درج ضيق عرضه 1,10م يلتف حول مركز مبني

[1] Ministère de la guerre, tableaux de la situation des établissements français dans l'Algérie 1843-1844, Imprimerie Nationale, paris 1845, p 202.

[2] Ministère de la guerre, tableaux de la situation des établissements français dans l'Algérie 1842-1843, op cit, p 122.

وسط المئذنة، من القاعدة إلى القمة، ليحمل البناء العلوي الصغير. وفي هذا البرج فتح باب يؤدي إلى الرواق حيث ينادي المؤذن للصلاة.

حجر الأساس الموضوع في جزء منه لبناء الأروقة يستقيم على ارتفاع 15 مترا تعلوه خطوط تراكبية تحملها أعمدة من الرخام الأبيض تزين لوحا كبيرا ارتفاعه 6م و75 وعرضه 3م و85.

الرواق العلوي توشحه من الخارج حاشيتان ناتئتان ولوح جديد تقسمه خمسة عقود مفصصة.

خمسة متاريس مفصصة على كل جهة، تشكل تتويج البرج الكبير، أما البناية الصغيرة التي تعلو المئذنة، فهي الأخرى مزينة بألواح ذات خطوط متراكبة يعلوها متراس صغير مماثل لمتاريس المئذنة الرئيسية.

تكاد المتاريس تغطي كل القبة الصغيرة التي تشرف على البناء وفي المحور الذي ثبت فيه رمح البرونز الذي يحمل الهلال.

لابد أن الألواح كانت مرصعة بالخزف في تراكبيها وعقودها (بوائكها) والحواشي، حيث نجد بعض آثارها القليلة في الجهة العلوية من المئذنة.

ثلاث ألوان استعملت في الفسيفساء، هي الأبيض والأسود والأخضر ببساطة مع رسومات مشكلة من نجوم وتقاطعات خطية أشبه بنبال الأعلام"[1]. ينظر الصورة رقم 06.

[1] Duthoit E, rapport sur les monuments historiques de l'Algérie, Manuscrit, op cit, p 47,48.

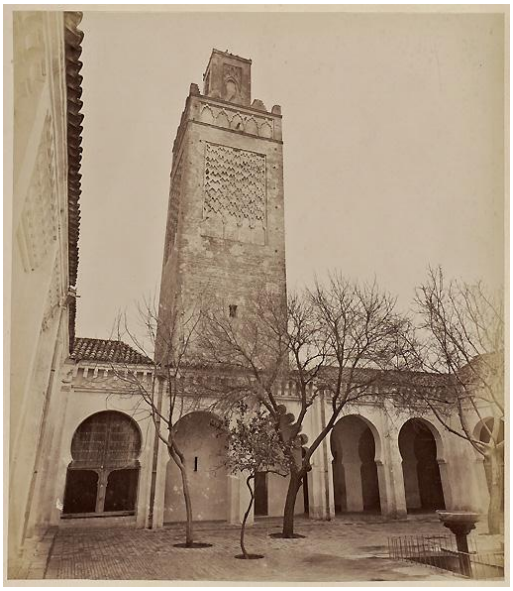

الصورة رقم 06: مئذنة الجامع الكبير سنة 1890 تصوير A. Beglet

نقلا عن: http://anom.archivesnationales.culture.gouv.fr

اللوحة رقم 03: أماكن تضرر وترميم مئذنة الجامع الكبير في الفترة الاستعمارية

8. هدم الميضأة الأصلية وتعويضها بأخرى:

يقع حوض الوضوء وحنفياته بالجهة الشمالية، حيث بنيت بعد الحملة الاستعمارية الفرنسية أزيلت هذه مراحيض عمومية واسعة من أجل تحديد الحيز المكاني للجامع[1]، هذا السبب الذي ذكره دوتوا في تقريره حول معالم تلمسان، إلا أن الفتح شوارع جديدة تحد الجامع من جهاته الثلاث تفسر سبب إزالة هذا الجزء من الجامع، ينظر المخطط رقم 04.

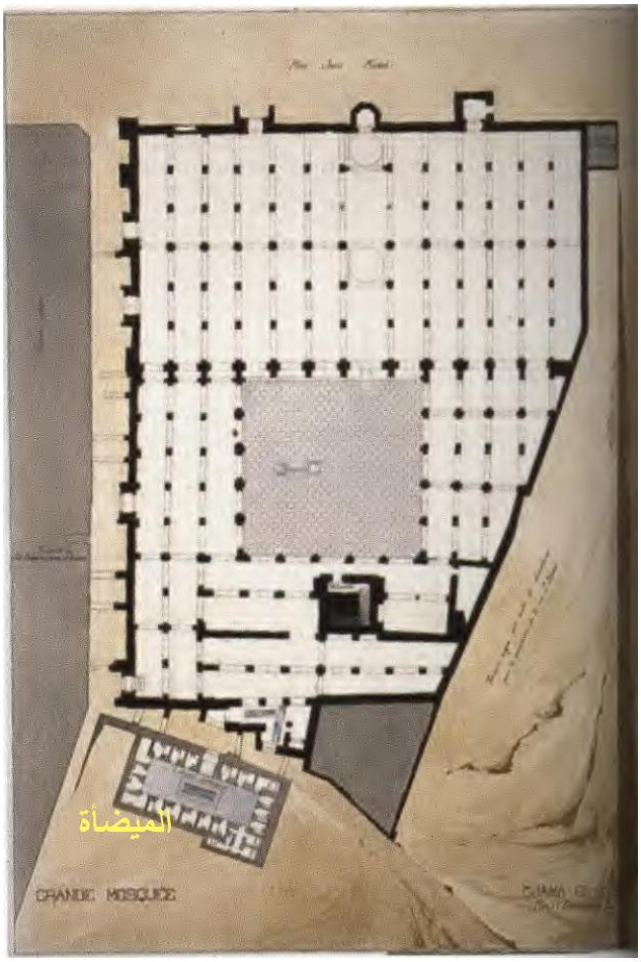

المخطط رقم 04: موقع الميضأة المهدمة في مخطط للمهندس دوتوا سنة 1873

نقلا عن Ahmed koumas, chéhrazade nafa, op cit, p 118.

[1] Duthoit E, rapport sur les monuments historiques de l'Algérie, Manuscrit, op cit, p 39.

9. أشغال إعادة بناء المحكمة :

في جلسته المنعقدة يوم 8 أكتوبر من سنة 1869، وبعد رد السيد والي وهران على طلب تخصيص مبلغ مالي يدفع لمديرية العقارات وذلك من أجل قطعة أرض مساحتها 464.40م^2 تابعة للجامع الكبير بتلمسان، تم ترك هذا الصرح عند فتح شارع القديس ميشال، وذلك لما قد يقدمه من إفادة من ناحيتين الأولى لتجنب إدراج أي بناية قد تقام أمام الجامع وثانيا إمكانية تثبيت محكمة القاضي في هذه البناية، وبما أن هذا الصرح ينتمي لساحة القديس ميشال فلابد من شراء ملكيتها من القائد العام للهندسة العسكرية [1].

وفي إحدى جلساته المنعقدة سنة 1875 أشار المجلس الأعلى إلى ضرورة إعادة بناء محكمة القاضي وبما أن الجدران الخارجية للجامع متضررة جدا فإعادة البناء لابد أن تكون على مستوى الجهة العقارية التابعة للإدارة والملاصقة للجامع من جهة شارع فرنسا[2]. وفي وقت لاحق في جلسته المنعقدة بتاريخ 24 فيفري 1876، صادق المجلس الأعلى على قرار الوالي القاضي بالهدم الفوري لمحكمة القاضي، حيث أصبح من المقدر لها أن تختفي من الواجهة الرئيسية للجامع بعد إعادة ترميم جدران الواجهة، حيث صوت المجلس الأعلى على هذا القرار في اجتماعه المنعقد بتاريخ 19 جوان المنصرم (1875).

وتم من خلاله أيضا إعطاء الصلاحية للوالي أثناء إجراء هذه العملية البحث عن مكان كراء مقر مؤقت للمحكمة إلى غاية تطبيق قرار إعادة البناء ضمن النسيج العمراني للجامع[3].

[1] Conseil générale de la province d'Oran, rapport de M le préfet Verbaux-des séances, typographie A Dupont, Oran 1869, p54-55.

[2] Conseil générale de la province d'Oran, 1875, op cit, p 311

[3] Conseil générale de la province d'Oran, rapport de M le préfet Verbaux-des séances, typographie Ad Perrier, Oran, Avril 1876,p81.

قرر المجلس الأعلى بعد جلسته المنعقدة في 10 أكتوبر 1890، ان يجد مكان خاصا بالمحكمة وذلك على إثر غلاء قيمة كراء المقر المؤقت لها، ومن الواجب أن يكون خاصا ودائما أو يكون أقل تكلفة في حالة الكراء، وقد أعرب قاضي تلمسان عن رغبته في إلحاق المحكمة بإحدى المباني التابعة للجامع الكبير، واقترح دار الضياف الملحقة بالمستشفى إلا أنه يجب الحصول على ترخيص من وزارة الفنون الجميلة بما أن تسيير أمور الجامع أصبح من صلاحيتها بعد أن صنف الجامع الكبير كمعلم تاريخي[1]، وكان بين قائمة المعالم المصنفة سنة 1889[2].

وفي 15 من أكتوبر تم التصويت على مبلغ 2000فرنك من أجل تهيئة المقر الجديد للمحكمة ضمن نطاق المباني الملحقة بالجامع الكبير، وهذا بعد أخذ التصاريح اللازمة من طرف الهيئة الوصية بما أن الجامع الكبير معلم تاريخي مصنف، إلا أن وزير الفنون الجميلة أوضح في مراسلة التي جاءت ردا على المراسلة الإدارية المقدمة إليه من قبل الوالي، انه قد استشار السيد بروسلارد المفتش العام للمعالم التاريخية في هذا الموضوع وقد أشار إليه بأنه يجب التريث فهناك نقصا في ملف مشروع تهيئة موقع المحكمة الجديد، وأن المشروع يجب أن يتماشى مع الخصوصيات التاريخية للجامع، ولهذا قام وزير الفنون الجميلة بتكليف المهندس ألبرت بالو كبير مهندسي المعالم التاريخية بالجزائر بتقديم دراسة مشروع جديد لتقديمه من أجل أخذ موافقة وزير الفنون الجميلة.

[1] Conseil générale de la province d'Oran, rapport de M le préfet Verbaux-des séances, Imprimerie D Heintz, Oran, 1891;p 281-282.

[2] Ministère de l'instruction publique et des beaux-arts, Direction des Beaux-arts, Monuments historiques, Loi et décrets relatifs à la conservation des monuments historiques, Liste des monuments classés, imprimerie National, Paris, 1889, p89.

وقد دعا الوزير نفسه المهندس بالو بتقديم دراسة لاتخاذ تدابير استعجالية من أجل ضمان تقوية وتدعيم جدران الجامع التي أصبحت مهددة بالانهيار[1].

وفي جلسته المنعقدة في 5 أكتوبر 1893، أصر المجلس الأعلى على ضرورة تركيب المحكمة بالجامع الكبير في أقرب الآجال على الرغم من اعتراض مفتي الجامع، وقد أحيل هذا الطلب إلى الحاكم العام الذي أبلغ المجلس الأعلى بأن الوزير المكلف بالفنون الجميلة لا يرى مانعا من البدء في تنفيذ المشروع[2].

خلاصة الفصل:

من خلال ما سبق في عناصر هذا الفصل، شهد الجامع الكبير بتلمسان عدة إضافات وتعديلات، سواء على محيطه الخارجي أو داخل المعلم الأثري، وخاصة ما تعلق بالصحن والمحراب وقبة الجامع، إضافة إلى التعديلات التي شهدتها المئذنة بعد ما تعرضت له من عوامل تلف، هذا كله يوضع في الخانة الإيجابية لما شهده المعلم من تدخلات.

أما من الناحية السلبية، فهي تلك التدخلات والتعديلات التي أدت إلى اختفاء وطمس بعض معالمه أو تحويل مكان وجودها الأصلي بحجة تهيئة مخطط المدينة الجديد، والجدير للإشارة في هذا الصدد هو نزع المحكمة والمكتبة التي كانت متواجدة في واجهة الجامع في جدار قبلته، ونذكر إعادة بناء الضريح، والعنصر المهم هو قبة المقصورة وما حدث عليها من تغييرات، إضافة إلى نقل أجزاء كبيرة من زخرفة المحراب الجصية.

[1] Conseil générale de la province d'Oran, rapport de M le préfet Verbaux-des séances, rapport N35, Imprimerie D Heintz, Oran, 1892, p 74-75.

[2] Conseil générale de la province d'Oran, rapport de M le préfet Verbaux-des séances, rapport n 56, Imprimerie EUG, mostaganem, 1894, p 93,94.

الخاتمة

إن المساجد والجوامع كانت ومازالت ملتقى للعبادة ومنشطة للحياة العلمية والاجتماعية وهي قلبها وروحها، وكانت هي قلب المدينة ومنها تتفرع أعضائها كل حسب أهميتها، ودليلنا على ذلك ما قاله الشيخ والعلامة عبد الرحمن الجلالي:

" إن من روائع الفن الإسلامي الذي خلفته لنا الأجيال المسلمة السالفة وتركته للأعقاب كنموذج مشرق ناطق بتقدم الحضارة الإسلامية في سالف عصورها الزاهرة، وكدليل ساطع دال على انتشار المدينة الإسلامية في الأقطار والأمصار، شرقا وغربا هذه المساجد الجامعة العظيمة، متفرقة ومجتمعة هنا وهناك كنجوم السماء تلمع أنوارها وتشع أضواؤها حتى لا يظل ركب الإنسانية الزاحف محو الرقي الروحي والتقدم الحيوي، فيها أشرق نور الإيمان وتجلى العلم بجلاله لطالبه من غير احتكار ولا تضييق ولا تقتير وقد أفرغت في قالب الجمال، يظهر رونق الفن وبديع الصبغة".

ومن خلال ما سبق، وبتتبع المراحل المهمة التي مر بها الجامع الكبير بتلمسان، من خلال مختلف الأنظمة والدويلات وفترات الحكم المتعاقبة على تلمسان، برغم توافقها في المرجعية الدينية، والمكانة التي تحتلها المعالم الدينية وخاصة المساجد إلا أن الجامع الكبير شهد العديد من التغيرات، التي لم تغير في هيكله العام إجمالا إلا أنها حورت في الكثير من ملامحه الزخرفية، وإضافة الملاحق والعناصر الملحقة كالمئذنة والمقصورة، والمحكمة التي ضمت المكتبة.

هذا ما يمكن تفسيره على أنه نوع من محاولة إبراز الشخصية والبصمة الفنية والمعمارية لكل فترة حكم، الشيء الذي تحدثت عنه الكتابات التاريخية في المصادر المعاصرة واللاحقة لتاريخ التطورات الحاصلة للجامع الكبير، لكن للأسف أغفلته الكتابات التذكارية والنقائش التأسيسية، الأمر الذي يطرح عدة تساؤلات، خاصة حول فترة استعمار الجزائر بصفة عامة وتلمسان بصفة خاصة من طرف الفرنسيين.

حسب ما سبق التطرق إليه، نستنتج أن تنوع تقنيات البناء في الجامع الكبير ما هو إلا نتيجة لتنوع وتعدد مواد البناء، المتاحة للمعماري في فترات التشييد المتعاقبة، كما يستشف من هذا التنوع هو سعة اطلاع البناء على قوانين الفيزياء والتحمل الميكانيكي وتوزيع قوى الثقل ميدانيا، حتى وإن افترضنا عدم معرفته لها نظريا، من خلال القوانين المطبقة عليها.

ما يمكن الإشارة إليه والتنويه به من خلال عناصر الفصل الواردة في متنه، هو أن الترميم كمصطلح تقني لم يوظف في سياقه من طرف المصالح المتعاقبة على مهمة السهر على حماية التراث والمحافظة على مقوماته لدى الإدارة الفرنسية وخاصة المستحدثة بالجزائر، إلا في فترات متأخرة وتحديدا مع استحداث مصلحة المباني التاريخية، التي حسب ما قام به المهندسون التابعون لها تعتبر المرحلة المهمة في إطار المحافظة وترميم المباني التاريخية ولكن ما ميزها هو الموضوعية، خلافا للفترات السابقة، مع فترات تسيير التراث من طرف الإدارة العسكرية التابعة لوزارة الحرب.

الأخيرة استحدثت هيكلا إداريا منظما يتماشى وخصوصيات الترميم التقنية دون المساس بأصالة التراث، مع تحديد أولويات الترميم المتعارف عليها وإيجاد توافق للآراء بين من يقوم بالعملية من مختصين في الآثار ومهندسين معماريين مرممين، الأمر الذي شكل عائقا في فترات سابقة، وأثر على سيرورة ونجاعة عملية الترميم.

الأمر الذي انعكس إيجابا على ترميم المعالم التاريخية بالجزائر من طرف المصلحة، بعد استفادة المختصيين المكلفين من مهندسين ومختصيين في الآثار من التجارب السابقة لمصلحة الجسور والطرقات ومصلحة المباني المدنية، والاستفادة من المواهب التي تمتع بها رواد هذه الفترة من مرميين سبق الإشارة إليهم، ما يمكن التطرق إليه هو انبهار وتأثر بعض الباحثين الفرنسيين في مجال الصيانة والترميم، بروعة ما احتواه الجامع الكبير بتلمسان من روائع زخرفية من حيث المادة ونوع الزخرفة وكذا تقنيات تنفيذها.

نذكر في هذا السياق على سبيل المثال لا الحصر والتخصيص المهندس المعماري المشهور إدموند دوتوا، الذي صرح تقريره الخاص بترميم معالم تلمسان لدى وزير التعليم والفنون الجميلة، ما معناه أن الجامع الكبير بمدينة تلمسان، وخاصة محرابه من أروع ما خلف الفنان العربي، ولا يضاهيه إلا تلك المعالم والصروح الملكية والتذكارية في ربوع المنطقة العربية والإسلامية.

من بين النتائج المتوصل إليها، هو الانقطاع التاريخي في الوثائق المكتوبة الدالة على أهم التدخلات على الجامع الكبير من طرف الإدارة الفرنسية بداية من 1900، وهل يفسر الأمر على التدخل الفعلي رغم توفر لعض الصور الدالة على بعض التعديلات والإضافات، أو إلى نقص الوثائق وعدم نشرها، المحل قابل لأن نضيف عدم توصلنا إليها إن كانت موجودة.

وفي الأخير، جميع التدخلات والإضافات الترميمية التي تعرض لها الجامع الكبير بمدينة تلمسان في الفترة الاستعمارية، حسب في صالح الجامع أولا وفي مصلحة الهوية التاريخية ثانيا، وخاصة ما تعلق بالزخارف، ولولا هذه التدخلات لما وصل إلينا بالصورة التي هو عليها، وما يحسب للإدارة الفرنسية أيضا هو تخصيص مبالغ معتبرة قياسا على تلك الفترة للمحافظة عليه، وتسجيله كمعلم تاريخي مصنف.

لكن ما يعاب على السياسة الفرنسية، هو حذف ونزع وتغير بعض ملامح الجامع الكبير مثل المحكمة والمكتبة والميضأة الأصلية، دون مراعاة خصوصية المنطقة أولا والمعلم ثانيا، إضافة إلى قيام بعض الضباط بأخذ بعض التحف الفنية التابعة للجامع دون التصريح الإداري بذلك، وهي معروضة في بعض المتاحف الفرنسية مثل نافذة المحراب الجصية التي تكلمنا عنها سابقا.

ما نختم به هو متى سنتحصل على كامل الوثائق الخاصة بمعالمنا الأثرية والتاريخية، ونسترجع أهم التحف الموجودة بالمتاحف الفرنسية.

الملاحق

ملحق الخرائط

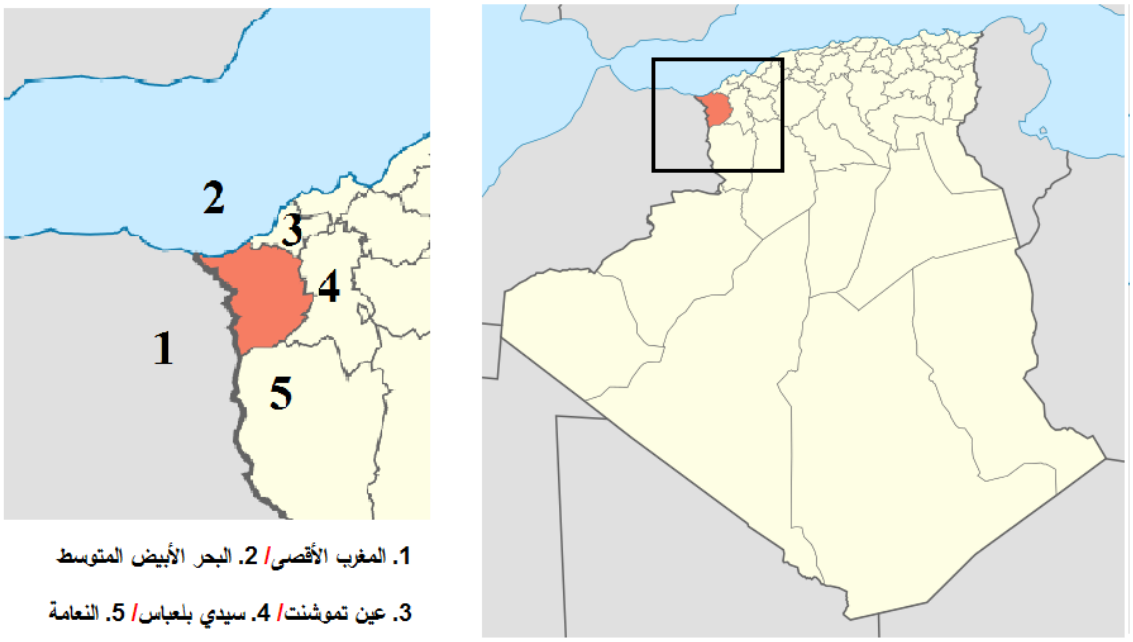

الخارطة رقم 01: موقع ولاية تلمسان في خارطة الجزائر الإدارية

الخارطة رقم 02: موقع بلدية تلمسان في ولاية تلمسان

ملحق المخططات

المخطط رقم 05: إعادة تصور لتاقرارت في العهد المرابطي

نقلا بتصرف عن: Benguella sonia wassila, Le processus d'appropriation des places Emir abdelkader et Khemisti de la ville de Tlemcen

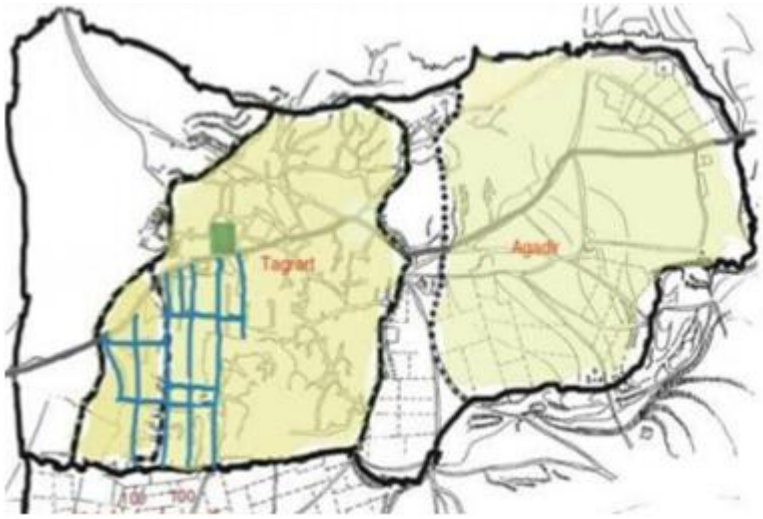

المخطط رقم 06: إعادة تصور لتلمسان في العهد الموحدي

نقلا بتصرف عن : groupe d'étudiants, ananys urbaine du noyau historique de tlemcen, département d'architecture univ, tlemcen.

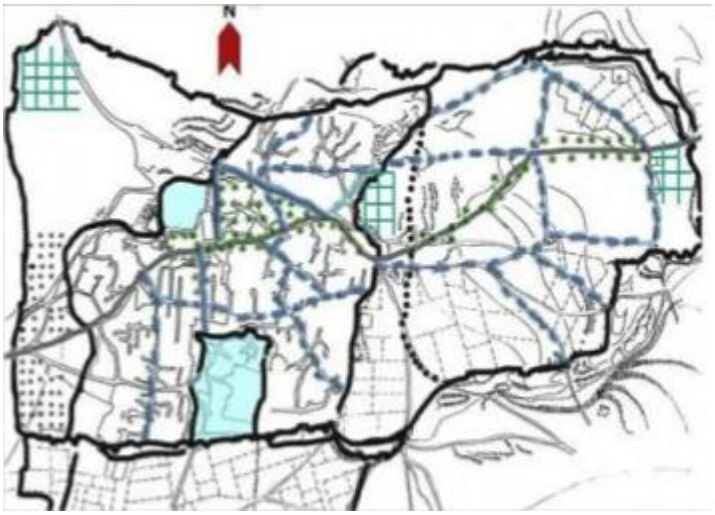

المخطط رقم 07: إعادة تصور لتلمسان في العهد الزياني

نقلا بتصرف عن : groupe d'étudiants, ananys urbaine du noyau historique de tlemcen, département d'architecture univ, tlemcen.

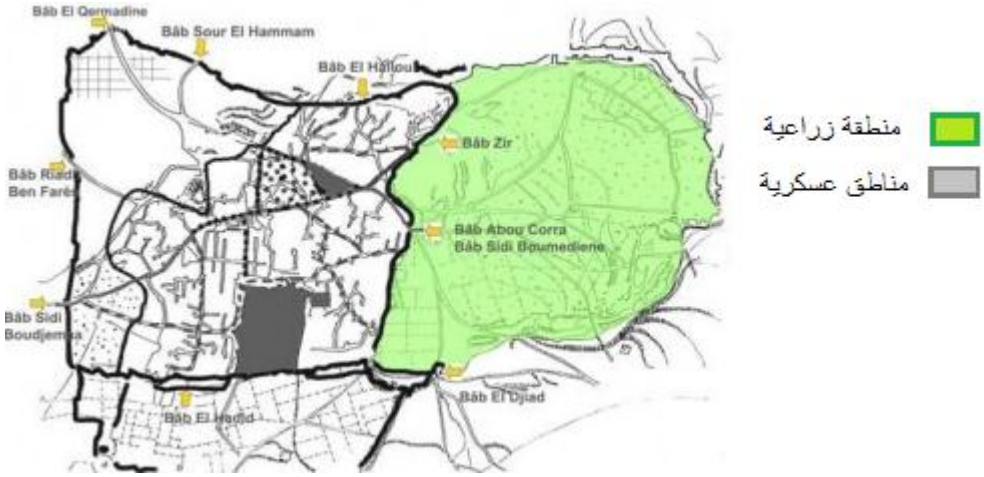

المخطط رقم 08: تلمسان في العهد العثماني

نقلا بتصرف عن : groupe d'étudiants, ananys urbaine du noyau historique de tlemcen, département d'architecture univ, tlemcen.

المخطط رقم 09: تلمسان في العهد استعمار الفرنسي سنة 1845

نقلا بتصرف عن : groupe d'étudiants, ananys urbaine du noyau historique de tlemcen, département d'architecture univ, tlemcen.

المخطط رقم 10: المخطط العام للجامع الكبير بتلمسان

من إنجاز الطالب

ملحق الأشكال

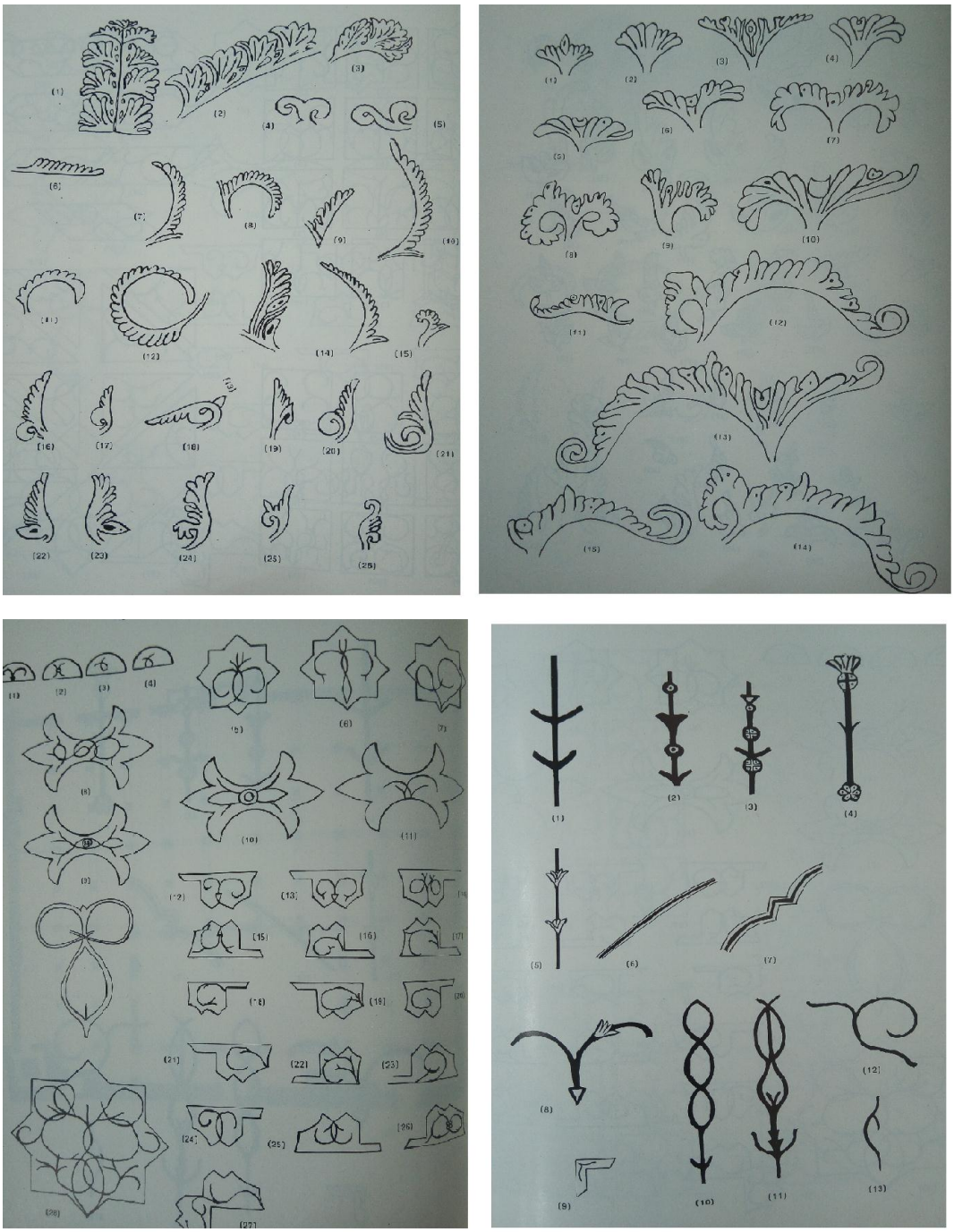

الشكل رقم 13: المواضيع الزخرفية بالجامع الكبير بتلمسان

نقلا عن Rachid Bourouiba, L'art religieux musulman en Algérie

ملحق اللوحات

اللوحة رقم 04: مئذنة الجامع الكبير بعد قصفها بمدفعية المشور نقلا عن: الأستاذ الرزقي شرقي

الواجهة الجنوبية الشرقية

الواجهة الجنوبية الغربية

الواجهة الشمالية الغربية

الواجهة الشمالية الشرقية

اللوحة رقم 05: الواجهات الأربع للجامع الكبير

اللوحة رقم 06: مداخل الجامع الكبير

اللوحة رقم 07: بيت الصلاة

اللوحة رقم 08: الأعمدة والدعامات والأقواس

اللوحة رقم 09: محراب الجامع الكبير

اللوحة رقم 10: سقف الجامع الكبير

اللوحة رقم 11: صحن الجامع الكبير

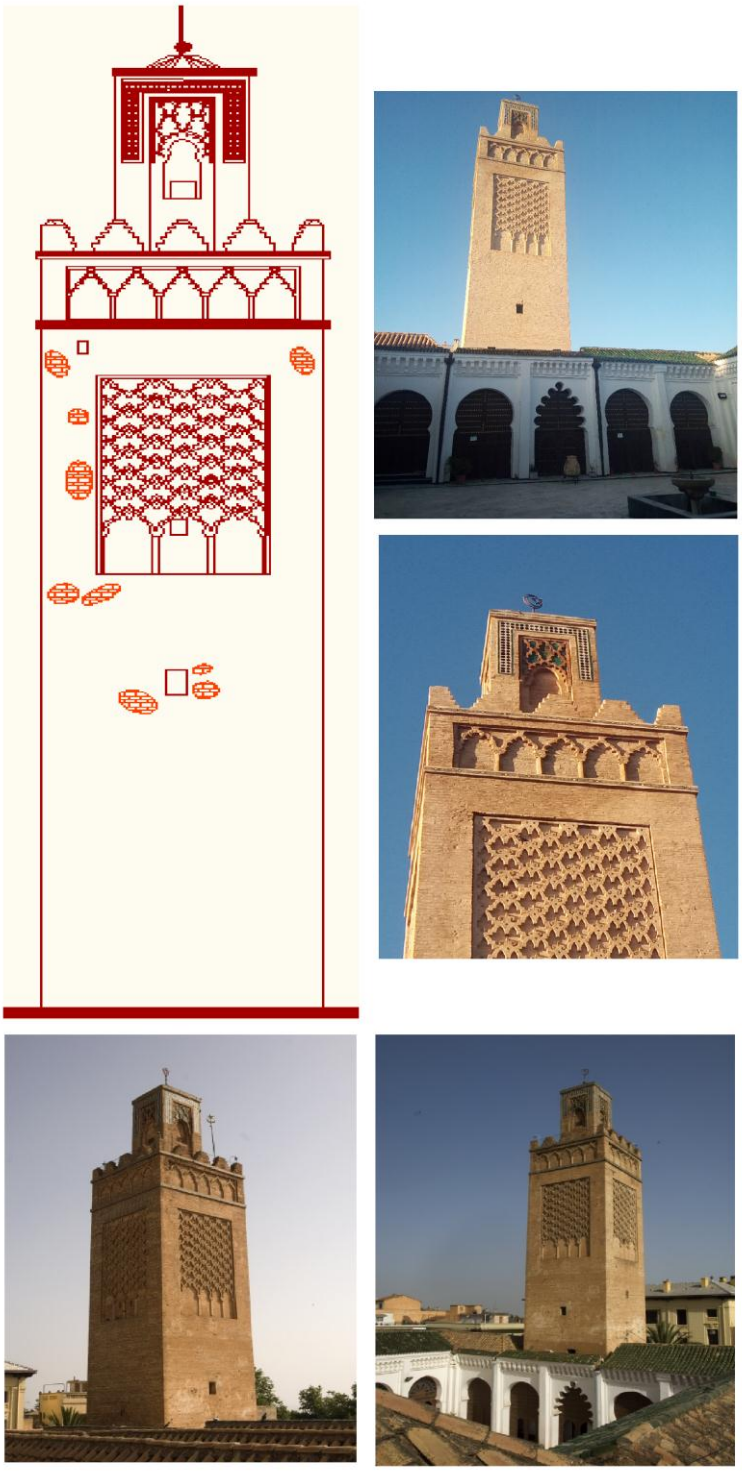

اللوحة رقم 12: مئذنة الجامع الكبير

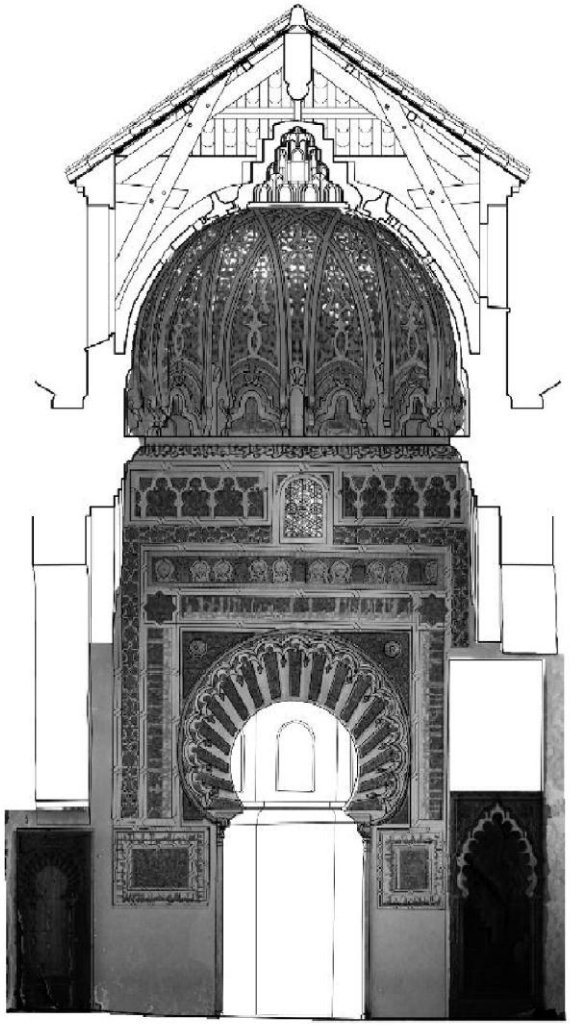

MEZQUITA ALMORÁVIDE DE TREMECÉN. MIHRAB Y CÚPULA.
A. ALMAGRO /ARQ. OCTUBRE 2011

اللوحة رقم 13: قبة التي تتقدم المحراب

اللوحة رقم 14: نوافذ المحراب

اللوحة رقم 15: Le triomphe de Neptune et d'Amphitrite

رسم منظوري لبوابة مزدوجة في عنابة من طرف رافوازي

إعادة تصور لنفس البوابة المزدوجة من طرف رافوازي

اللوحة رقم16: من أعمال رافوازي في عنابة

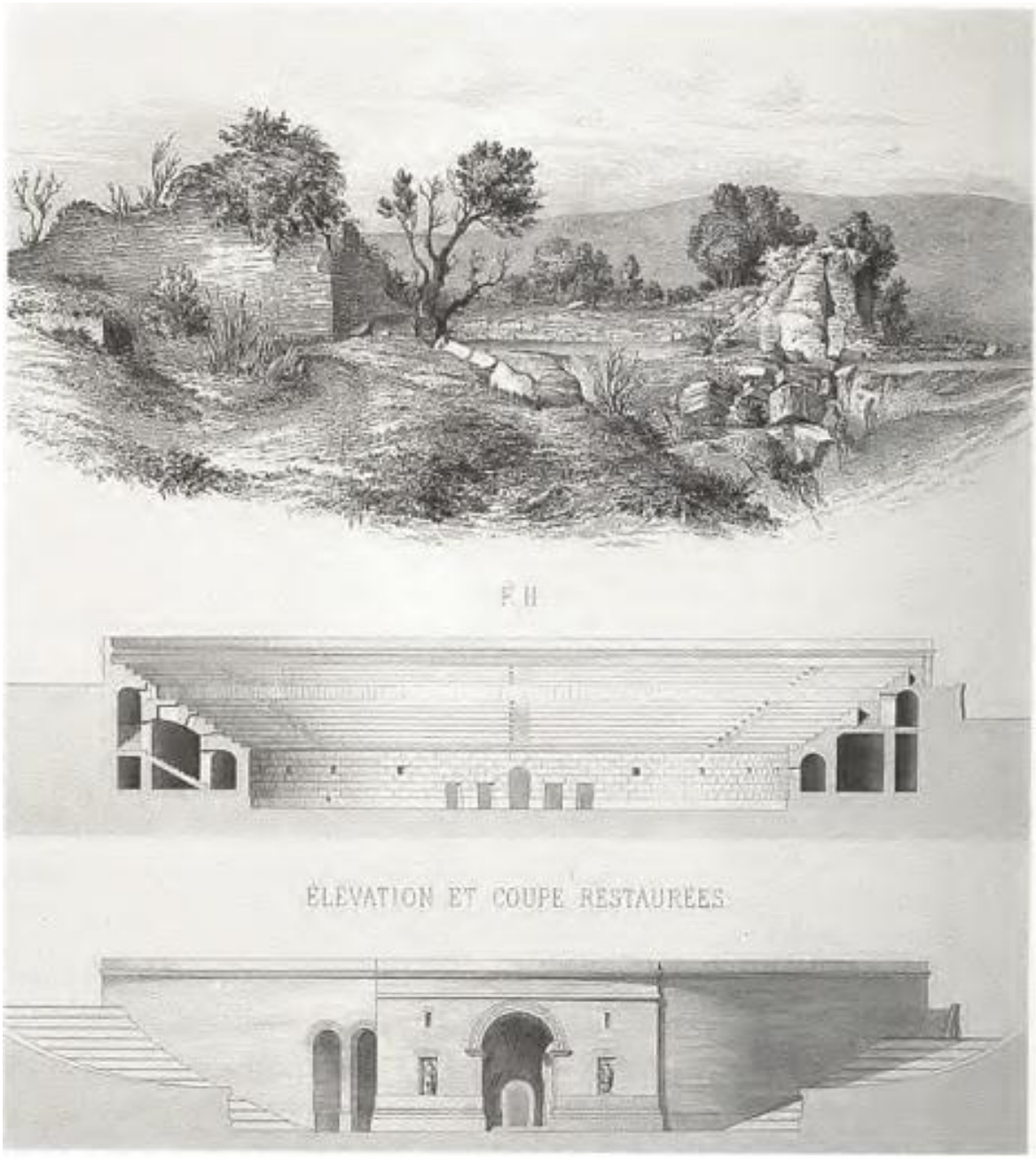

منظر بقايا مسرح روماني مع إعادة تصور لحالته الأولى من طرف رافوازي

اللوحة رقم17: من أعمال رافوازي في سكيكدة

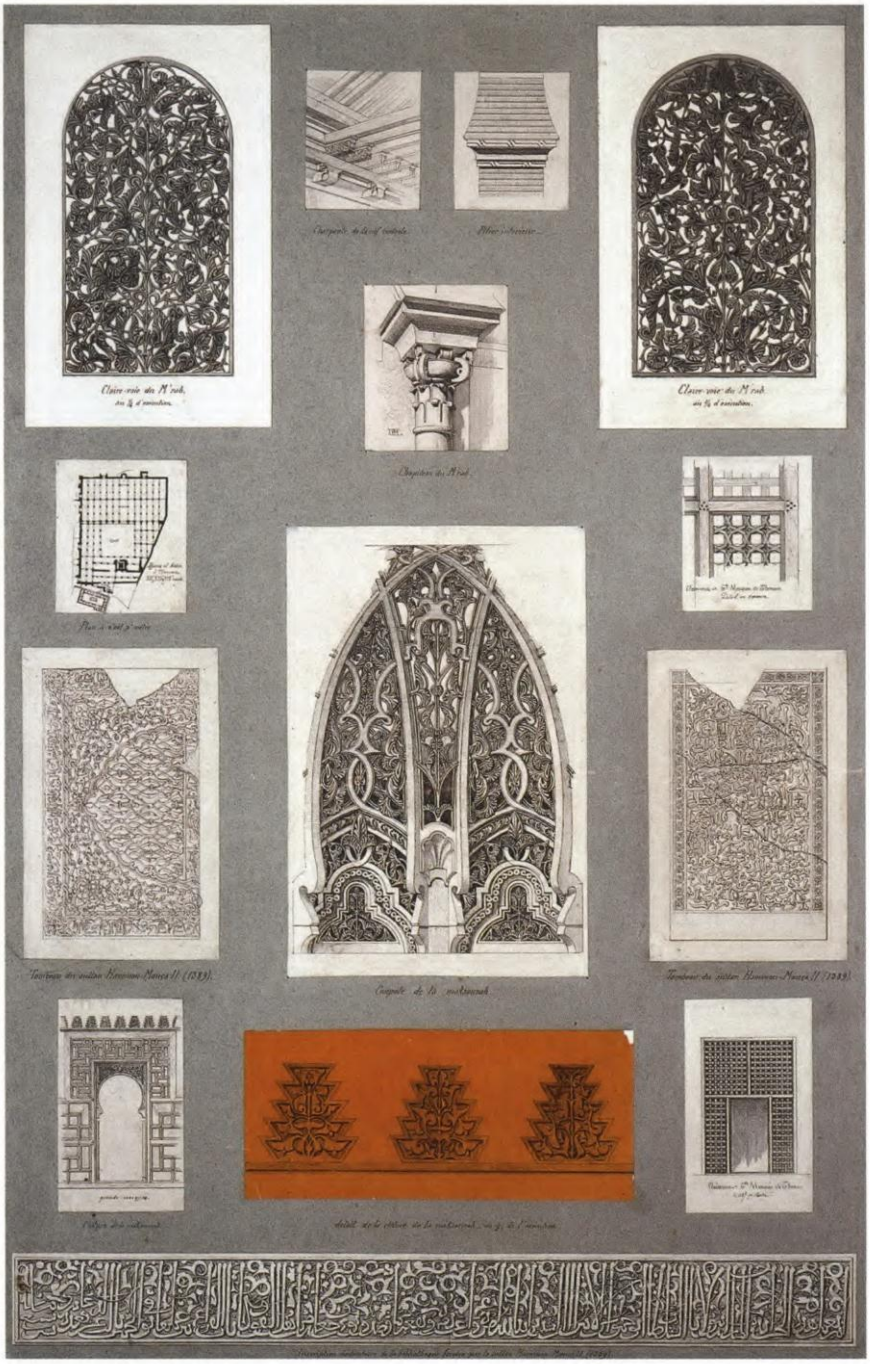

اللوحة رقم18: تفاصيل زخارف بعض العناصر المأخوذة من الجامع الكبير بتلمسان من طرف أدموند دوتوا سنة 1872م

اللوحة رقم19: بعض معالم تلمسان من تقديم إدموند دوتوا سنة 1873م

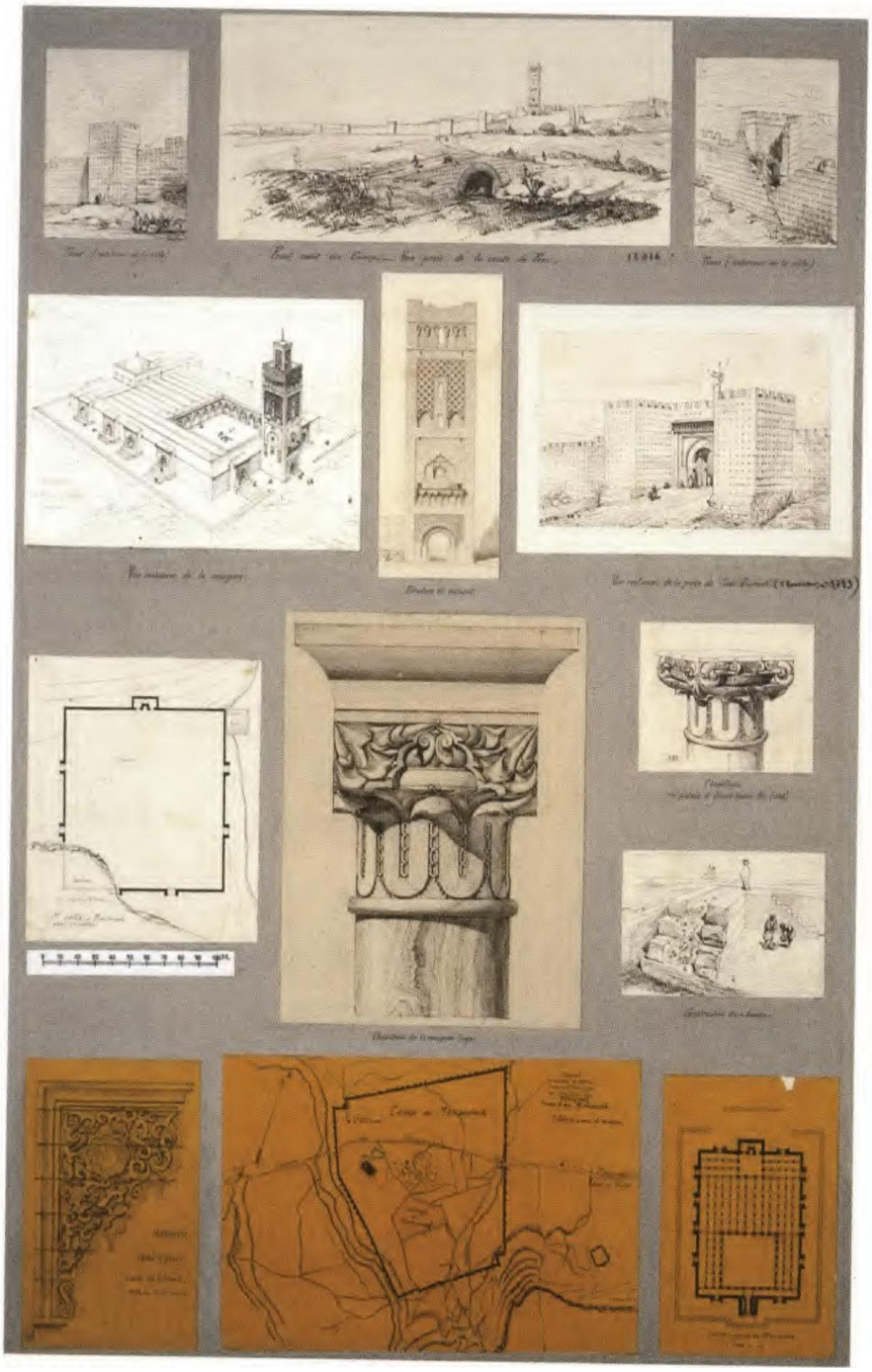

اللوحة رقم20: رفوعات من جامع المنصورة بتلمسان من طرف إدموند موتوا سنة 1872

اللوحة رقم 21: كاتدرالية و محطة قطار وهران

موقع ضريح سيدي مرزوق بعد إعادة بناءه

نقلا عن

G et W, Marçais, les monuments arabes de Tlemcen

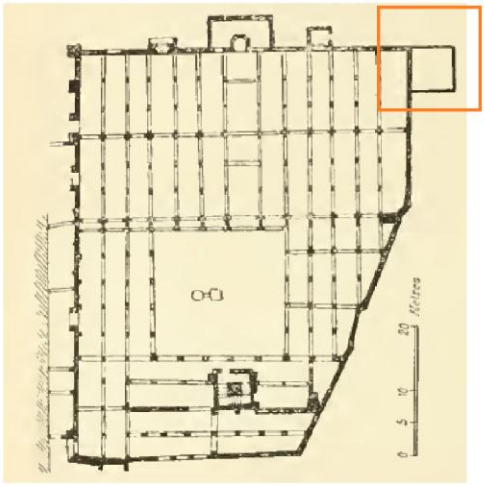

موقع ضريح سيدي مرزوق قبل هدمه

نقلا عن

Merzoug noureddine Abdellatif, Minarets des mosquées de Tlemcen

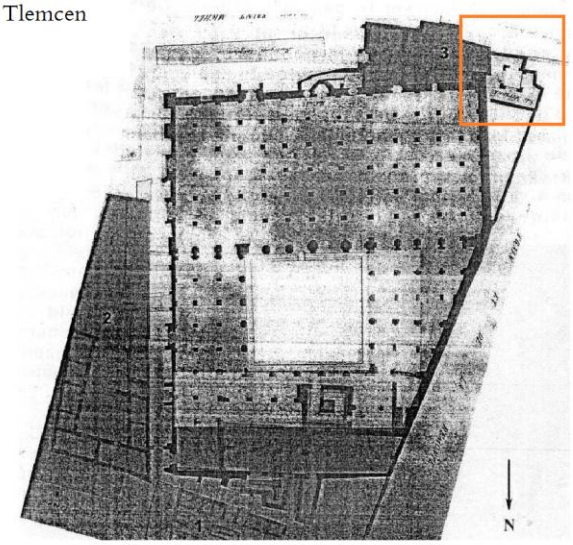

اللوحة رقم 22: ضريح سيدي مرزوق

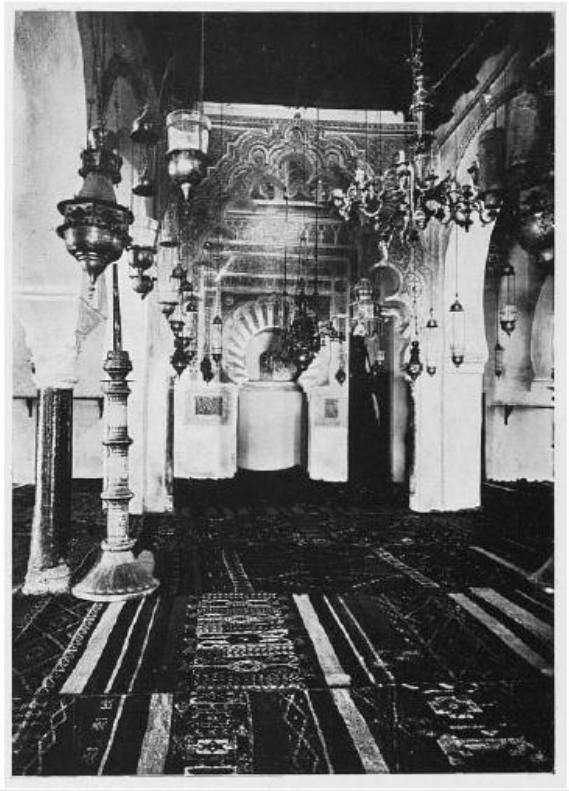

اللوحة رقم 23: بيت الصلاة مع الحصير

ملحق الصور

الصورة رقم 07: حدود الجامع الكبير

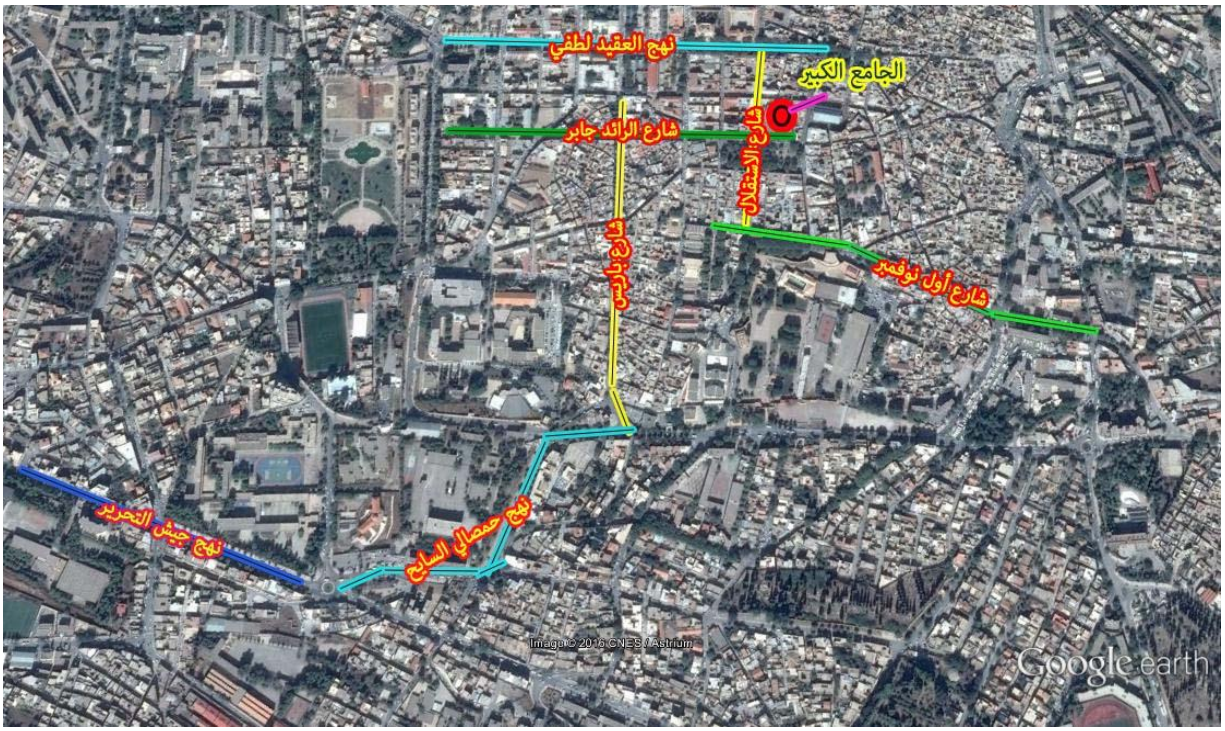

الصورة رقم 08: طريق الوصول إلى الجامع الكبير

ملحق النصوص

Texte de l'inscription du Pont de Négrier (1)

[I] الحمد لله وحده والأمر كله لله لما ان ملك الله تبارك وتعالى
بقدرته بلد الجزايروساير(2) عمالتها للسلطان المعظم [II] مالك
الجيوش القوية و الاقاليم البرانصاوية وارث المملكة خلب (3) عن
سلف السلطان ابن السلطان لويبى *(sic)* بليب الا أن أخرج أمره
المطاع لاصلاح [III] المدون (4) بالبناء وتحصينها كمساجدها
وطروقها وترميم ما هو فاسد فيها بدأ (5) بالجامع الكبير من تلمسان
فزينه و جدد منبره و صومعته [IV] كان بها خراب فعادت تظهر
من بعاد وكذلك مسجد سيدي ابي مدين الغوث بالعباد فاصلح
ما كان به من الفساد ثم بنا (6) دارا عظيمة النظير لجيوشه ﭫ [V] بو
فهر *(sic)* بالمشور دار ملك بني زيان فشيدها بالعلو والارتفاع
و جعل فيها عدة مقاصير يفرح بها كل ناظر ثم أمر باصلاح الطريف

(1) Les numéros en chiffres romains indiquent le commencement de chaque ligne de l'inscription.

(2) Tous les ئـ sont écrits يـ dans cette inscription.

(3) Lisez خَلْبًا.

(4) Lisez المُدُن.

(5) Il vaudrait mieux فبدأ.

(6) Lisez بنى.

الجزء الأول من نص الكتابة على اللوحة التذكارية

نقلا عن: Alfred bell, Note sur une inscription de 1846 figurant sur le pont de négrier(tlemcen), Revue africaine,volume55,OPU,Alger, 1911

المنحـذرة (1) من باب الفرمـاد (2) [VI] و صور (3) الحمام الى الفنطرة السفلية و ظهرها بما يناسبها من احجار و غرس عن يمينها و شمالها اشجار (4) و رمم الفنطرة و شهرها و زاد في علو حيطانها [VII] و انحبها كما هو في نفش حجرة مؤسسة فيها و من هنالك زاد بالطريف على النمط المذكور إلى واد (5) يسر المشهور راج (6) من الله الكمال الى وهران لتسهل على المسافريـن [VIII] ويعرف ذلك الاتيين (7) ما صنعت الملوك الاولين (8) و قد كان والي هذه العمالة المذكورة وفتيذ المعظم المرشال بيجو فاصرف همته في تأسيس الملك و تأمينه و عمارة [IX] مدونه (9) ووطنه لكونه ذو (10) عقل و ساسة (11) و شجاعة و رياسة مع كبر سنه يكون في عمره ثلاث و ستين (12) سنة و الله اعلم بغيبه وكان والي الامر ايضا معه

---

(1) Lisez المنحـدرة.

(2) Lire باب الفرماديـن « la Porte des Tuiliers ». C'est ainsi qu'elle est désignée dans les chroniques, et aussi dans le langage populaire actuel.

(3) Lire سـور. Le ص est emphatique dans la prononciation populaire ; de là provient sa transcription fautive en ص.

(4) Lire أشجارًا.

(5) Lire وادي.

(6) Lire راجيًـا.

(7) Lire الاتـون.

(8) Lire الاوَّلون.

(9) Lire مدنه.

(10) Lire ذا.

(11) Lire سياسة.

(12) Lire ستون.

الجزء الثاني من نص الكتابة على اللوحة التذكارية

نقلا عن: Alfred bell, Note sur une inscription de 1846 figurant sur le pont de négrier(tlemcen), Revue africaine,volume55,OPU,Alger, 1911

في العمالة الوهرانية [X] على اصلاح الوطن المعظم الجنرال لاموريسير لفطانته و حسن تدبيره و فصاحة لسانه عربية و صبره على المشاق المخزنية بالخدمة الملكية على ظهور نتاجها وكان [XI] والي أيضا عمالة تلمسان المعظم الجنرال كفانياك فابذل (1) جهده ونصحه في اصلاح العمالة و رد الهمالة من الرعية لارضها بصبر وحسن سيرته وكبر عقله [XII] و لا زال على ذلك إلى الان و حتى الان إن شاء الله وكان والي البناء في الوقت المذكور كبير الجنى الفبطان السيد قبير فلم يقصر في الامر بحسب القدر وكبير [XIII] جيش المحلة المعدة للخدمة العافل الكرنيل ماك مهون فجعل ربي خيرا على فعله و معه الفسيان الناظر في احوال الخدمة بالاتفان في الطريف اسمه [XIV] ذو تفيل لحذافته (2) و معرفته باصلاح ما هو بصدد (3) فغير خاف على من له عقل تام ان هذه الافعال دالة على الخير الكثير والانعام و الهناء والاكرام [XV] اعلم (4) ما سطر من اوله إلى تاريخه نقل من خط فايد تلمسان الفقيه السيد حمادي بن الصفال لطف الله به أمين و السلام [XVI] اواخر ذي القعدة الحرام عام 1262 وبالعجمي عام 1846

(1) Lire فبذل .
(2) Lire لحذافته .
(3) Mieux بصدده .
(4) Il conviendrait d'ajouter ici أنّ .

الجزء الثالث من نص الكتابة على اللوحة التذكارية

نقلا عن: Alfred bell, Note sur une inscription de 1846 figurant sur le pont de négrier(tlemcen), Revue africaine,volume55,OPU,Alger, 1911

ثبت المصادر والمراجع

المصادر

1. يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد.

2. عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، طبعة عبد الرحمن محمد ، الجزائر.

3. عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1431هـ-2001.

4. ابن الأثير الجزري، الكامل في التاريخ ، تصحيح محمد يوسف الدقاقدار ، مج 8، ط 1، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان،1987.

5. ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان ، تقديم وتحقيق وتعليق : هاني سلامة ، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2000.

6. ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908

7. ابن القاضي، جذوة اقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، ج1 ،دار المنصور للطباعة، الرباط، المغرب،1973 .

8. أبو العباس أحمد بن خالد النصاري، الاستقصا في أخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق: جعفر النصاري، محمد النصاري، ج الثاني،دار الكتاب ، الدار البيضاء، 1954.

9. الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تر يحي بوعزيز،ج 1، دار الغرب الإسلامي، ط ، 1990 م.

10. البيذق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة، الرباط،1991.

11. عبد الواحد المراكشي،المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرحه واعتنى به د. صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية الطبعة الأولى سنة 1426 هـ - 2006 م.

12. عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب،تحقيق محمد السعيد العريان، الطبعة الأولى، مطبعة الاستقامة، القاهرة،1949.

13. محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان، تحقيق محمود بوعياد .

المراجع:

1. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

2. إسماعيل احمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبه العبيكان ، 2ط، 1998.

3. الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

4. روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ت بشير السباعي، ج 1، ط1، دار الفكر، القاهرة،1993.

5. زيدان جورجي، تاريخ آداب اللغة العربية، ج3، دار الهلال، د ت.

6. شارل بروسلار، كتابات شواهد وقبور سلاطين وأمراء بني زيان الملتقطة من روضاتهم الملكية، تعريب الرزقي شرقي، موفم للنشر، الجزائر، 2011.

7. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، الجزء الاول، موفم للنشر ، الجزائر، 2002.

8. عزت زكي حامد قادوس،علم الحفائر وفن المتاحف،مطبعة الحضري إسكندرية2003.

9. عزيز سامح ، الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا، ت محمد على عامر، ط1، دار النهضة، بيروت، 1989.

10. عطاء الله دهينة و آخرون، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، الجزائر في التاريخ، ج3 ، صالح بن قربة المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986 .

11. على محمد الصلابي، صفحات من التاريخ الإسلامي دولة الموحدين، ج 5،دار البيارق، عمان، 1998.

12. كميل ريسلير، السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها(1830-1962)، ت نذير طيار، دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني، 2016.

13. مجموعة من المؤلفين، إنشاء معماري، الطرق التقليدية في الإنشاء، المملكة العربية السعودية.

14. محمد الطمار، تلمسان عبر العصور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007.

15. محمد الطيب عقاب، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر ط1 .مكتبة زهراء الشرق القاهرة 2002 .

16. محمد المنوني حضارة الموحدين، دار توبقال الدار البيضاء المغرب، 1989.

17. محمد بشير شنيتي، علم الآثار،دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2013.

18. محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة بني زيان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1995.

19. محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة و حضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1984 .

20. محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

21. نوبي محمد، نظريات العمارة، مطبعة أوفست الحديثة، أسيوط، مصر 2001.

22. وليم سبنسر،الجزائر في عهد رياس البحر، تعريب وتقديم عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر،الجزائر، 2006.

23. وليم مارسيه، مقتنيات متحف تلمسان، تعريب الرزقي شرقي، موفم للنشر، الجزائر، 2011،.

الرسائل الجامعية:

1. بكاي هوارية، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين ، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان 2013-2014.

2. بوسدي أسماء كريمة، الراتنجات واللدائن الصناعية المستعملة في صيانة وترميم الاثار، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الصيانة والترميم، معهد الاثار جامعة الجزائر، 2008-2009.

3. ربعين أعمر، تأثير عوامل التلف البيولوجية على المادة الخشبية الأثرية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، صيانة وترميم، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007-2008.

4. عبد الرحمن بالأعرج، العلاقات الثقافية بين الدولة بني زيان والمماليك، مذكرة ماجستير جامعة تلمسان 2008/2007.

5. قادة لبتر، تأثير الرطوبة على المعالم الأثرية دراسة لبعض معالم تلمسان، رسالة ماجستير، قسم علم الآثار جامعة تلمسان، 2007-2008.

6. قبابلة مبارك، تطور مواد وأساليب البناء في العمارة الصحراوية، مذكرة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2009-2010.

7. محمد عياش، الاستحكامات العسكرية المرينية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005-2006.

8. نبيلة رزقي، الزخرفة الجصية في عمائر المغرب الأوسط والأندلس القرنين 7-8هـ/13-14م، قسم علم الآثار، جامعة تلمسان، 2015.

9. نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان، من القرن 7هـ/13م إلى القرن 10هـ/16م، أطروحة دكتوراه تاريخ وسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2009_2010.

المجلات والملتقيات:

1. يحي بوعزيز: " المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية "، مجلة الأصالة ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، العدد26، جويلية 1975.

2. عبد العزيز محمود لعرج، جمالية الزخارف النباتية في الفن الإسلامي بجامعي تلمسان الكبير وسيدي بلحسن، أعمال ملتقى دولي بتلمسان "تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني"، الجزء الأول، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011.

3. عبد العزيز محمود لعرج، جمالية الزخارف النباتية في الفن الإسلامي بجامعي تلمسان الكبير وسيدي بلحسن، أعمال ملتقى دولي بتلمسان "تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني"، الجزء الأول، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011.

4. عبد الواحد ذنون طه، التطور العمراني لمدينة تلمسان الإسلامية:دراسة في النصوص الخاصة بـ: أغادير، تاكرارت، المنصورة، أعمال ملتقى دولي بتلمسان "تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني"، الجزء الأول، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011.

5. عبد العزيز سالم، روائع الآثار الإسلامية بجمهورية الجزائر، مجلة المجلة، العدد 19، 1959.

6. عبد الحميد حاجيات،"تلمسان مركز الإشعاع الثقافي في المغرب الأوسط"، مجلة الحضارة الإسلامية، ع1، أبريل 1993.

7. عادل محمد زيادة، التراث المعماري الديني بتلمسان منذ عصر المرابطين ودوره في التواصل الحضاري بين شرق العالم الإسلامي وغربه، أعمال ملتقى دولي بتلمسان "تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني"، الجزء الثاني، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011.

8. الرزقي شرقي، الجسور الأثرية بمدينة تلمسان وضواحيها (دراسة أثرية)، أعمال ملتقى دولي بتلمسان "تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني"، الجزء الأول، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011.

9. سيدي محمد الغوثي بسنوسي، التذوق الجمالي في العمارة الإسلامية تلمسان نموذجا، أعمال ملتقى دولي بتلمسان "تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني"، الجزء الأول، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2011

المعاجم والقواميس والتقارير:

1. ابن منظور، لسان العرب، تح: ياسر سليمان أبو شاوي، ج3، المكتبة التوفيقية، 360-711هـ.

2. عاصم محمد رزق، معجم المصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط1، مكتبة مدبولي، 2000.

3. خواص واختبارات المواد، الإدارة العامة لتصميم وتطوير المناهج، المملكة العربية السعودية.

4. البقري عبد اللطيف، الموسوعة الهندسية لإنشاء المباني، عالم الكتب، القاهرة، 1984.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. Agnès Charpentier, tlemcen et l'évolution des modéles de l'architecture religieuse médiévale au maghreb711 – 2011 treize siècles d'histoire partagée, essai bilant perspectives d'avenir, Actes du colloque international tenu à l'Université de Tlemcen du 17 au 19 octobre 2011.

2. Ahmed Khoumas,Chehrazade Nafa, L'Algerie et son patrimoine, Edition du patrimoine, Paris, 2003,.

3. Alfred bell, Note sur une inscription de 1846 figurant sur le pont de négrier(tlemcen), Revue africaine, volume55, OPU,Alger, 1911.

4. Antonio Almagro, The Great Mosque of Tlemcen and the Dome of its Maqsura, ISSn 0211-3589 doi: 10.3989/alqantara.2015.007.

5. Arthur de Claparéde, En Algérie, librairie Fischbacher, Paris, 1896,

6. BARGES (J.J.L), Tlemcen ancienne capitale du royaume de ce nom, sa topographie, son histoire, description de ses principaux monuments, anecdotes, légendes divers; souvenirs d'un voyage, Editeurs Benjamain (D) & Challamel (A), Paris, 1859.

7. Chabouillet A, Comité impérial des travaux historique, revue des societe savants, tome 5, Paris 1858,

8. Conseil générale de la province d'Oran, rapport de M le préfet Verbaux-des séances, typographie Ad Perrier, Oran 1875

9. Conseil générale de la province d'Oran, rapport de M le préfet Verbaux-des séances, typographie A Dupont, Oran 1873.

10. Conseil générale de la province d'Oran, rapport de M le préfet Verbaux-des séances, typographie Ad Perrier, Oran 1861.

11. Conseil générale de la province d'Oran, rapport de M le préfet Verbaux-des séances, typographie A Dupont, Oran 1869.

12. Conseil générale de la province d'Oran, rapport de M le préfet Verbaux-des séances, typographie Ad Perrier, Oran, Avril 1876.

13. Conseil générale de la province d'Oran, rapport de M le préfet Verbaux-des séances, Imprimerie D Heintz, Oran, 1891.

14. Conseil générale de la province d'Oran, rapport de M le préfet Verbaux-des séances, rapport N35, Imprimerie D Heintz, Oran, 1892,

15. Conseil générale de la province d'Oran, rapport de M le préfet Verbaux-des séances, rapport n 56, Imprimerie EUG, mostaganem, 1894,

16. Duthoit E, rapport sur les monument historique de l'Algérie architecture musulmane dans la province d'Oran, Manuscrit.

17. Duthoit E, rapport sur une mission scientifique en Algerie, Archive des mission scientifique et litteraire; choix de rapports et instructions publié sous les auspices du ministère de l'instruction publique et des cultes, tome 1, paris, 1873.

18. E. Boeswillwald, R. Cagnat, Alb.Ballu, Timgad : une cité africaine sous l'Empire romain, Ernest Leroux,Paris, 1905.

19. Françoise Choay, L'allégorie du patrimoine Editions du Seuil, Paris, 1988.

20. George et William Marçais, les monuments arabes de Tlemcen,Paris, 1903.

21. George Marçais, Encyclopédie de l'Islam , Tlemcen, extrait de la revue : l'Afrique Française, Paris, 1889.

22. George Marcais, L'art musulman en Algérie, Gazette de Beaux-Art , tome 3, Paris, 1930.

23. Georges Marcais, Tlemcen, Edition de EDIK, Oran,2003.

24. GOLVIN, Lucien, « Essai sur l'architecture religieuse musulmane : l'art hispano-musulman »,.

25. Insaniyat n°s 23-24, janvier – juin 2004,.

26. Jean Etienne Guettard; Jean Benjamin de La Borde; Edme Béguillet, Voyage pittoresque de la France, Paris, chez Lamy, 1784

27. Laaboudi N. et Lahsini F, Techniques de réalisation architecturale traditionnelle à Fès, de l'inauguration à l'achèvement du projet, mémoire de fin d'étude de l'E.N.A, Rabat, 1986.

28. Lallemand.ch, L'ouest Algérien, Challamel, Paris, 1891.

29. Le commandant de Pimodan, Oran,Tlemcen ,Sud-Oranais(1899-1900),Honoré champion Lipraire, Paris, 1902.

30. Lucien Golvin، Le legs des Ottomans dans le domaine artistique en Afrique du Nord [article] Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée Année 1985 Volume 39 Numéro 1 .

31. Lutaud ch, Exposé de la situation général de l'Algerie 1911, Imprimerie Administrative Victore Heintz, alger, 1912.

32. Marçais et william, les monuments arabes de tlemcen foutemoig, paris, 1915.

33. Micheal greenhalgh.The Military and Colonial Destruction of the Roman Landscape of North Africa, edition brill, boston.

34. Ministère de la guerre, tableaux de la situation des établissements français dans l'Algérie 1839, Imprimerie Nationale, paris 1840,.

35. Ministère de la guerre, tableaux de la situation des établissements français dans l'Algérie 1846-1849.

36. Ministère de la guerre, tableaux de la situation des établissements français dans l'Algérie 1842-1843, Imprimerie Nationale, paris 1844.

37. Ministère de la guerre, tableaux de la situation des établissements français dans l'Algérie 1846-1849, Imprimerie Nationale, paris 1851.

38. Ministère de la guerre, tableaux de la situation des établissements français dans l'Algérie 1843-1844, Imprimerie Nationale, paris 1845.

39. Ministère de l'instruction publique et des beaux-arts, Direction des Beaux-arts, Monuments historiques, Loi et décrets relatifs à la conservation des monuments historiques, Liste des monuments classés, imprimerie National, Paris, 1889.

40. Morgan(M H), The ten books of architecture, Ed Plain Label Books,Havard 1914.

41. Nabila Oulebsir, La découverte des monuments de l'Algérie. Les missions d'Amable Ravoisié et d'Edmond Duthoit (1840-1880)», dans Figures de l'orientalisme en architecture, édité par C. Bruant, S. Leprun et M. Volait, REMMM, n° 73-74 1994.

42. Omar brahami ramzi, mon ami de Bni-saf, édition bublibook,paris France,2009.

43. Perrine Ournac, Archéologie et inventaire du patrimoine national : recherches sur les systèmes d'inventaire en Europe et Méditerranée occidentale (France, Espagne,Grande Bretagne, Tunisie).

44. Picard Charles, Notice sur la vie et les travaux de M. Stéphane Gsell, membre de l'Académie. In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 91e année, N. 1, 1947.

45. Plan de ville de Tlemcen, département d'Oran, Service des opérations topographiques,1929.

46. Prosper Ricard, Les documents d'Art Maghrebin du musée d'Annecy, La revue savoisienne, Fabry, Annecy, 1934

47. Rachid Bourouiba: L'art religieux musulman en Algérie, 2ème ed., Alger: SNED, 1981.

48. Revue des Deux Mondes, Période Initiale, tome 5, 1832.

49. Saddek BENKADA, Savoirs militaires et modernité urbaine coloniale. Le rôle des ingénieurs du génie dans la transformation des villes algériennes : le cas d'Oran (1831- 1870),

50. Walid hamma, Abdelkader djedid, Mohammed Nabil ouiss, délimitation du patrimoine urbain de la ville historique de tlemcen en algerie, cinq continents revue roumaine de geographie, Volume 6 , Numéro 13 , 2016.

51. Xavier gille,Victor ruprich robert,architect(1820_1887),2013.

Thèses universitaires:

1. Benguella sonia wassila, Le processus d'appropriation des places Emir abdelkader et Khemisti de la ville de Tlemcen, magister, departement d'architecture, univ tlemcen, 2012.

2. Bensaadi Toubal Djamila, recommandation pour l'elaboration d'un processue normatif de sécurisation d'un projet de restauration,magistere, ecole polytechnique d'architecture et d'urbanisme;EPDAU,2013,

3. CAOM,F,1589,Lettre de Ministere de ma Guerre, Duc de Dalmatie, au Marichal Bugeaud,gouverneur general de l'Algerie, Paris, 29 nov 1843.Comparaisons et perspectives,thèse doctorat L'UNIVERSITÉ DE TOULOUSE, France,2011.

4. CHIALI Moustafa, essai d'aplication semiotique sur le decor architectural musulman en algerie, magister, ecole polytechnique d'architecture et d'urbanism, alger

5. Jennifer J. Carter,Recreating Time, History, and the Poetic Imaginary: Alexandre Lenoir and the Musée des Monuments français (1795-1816), A thesis submitted to McGill University in partial fulfillment of the requirements of the degree of Doctor of Philosophy, Montréalm, 2007.

6. KASSAB, Tsouria, « Antagonismes entre espaces historiques et développement urbain : Cas de Tlemcen », Thése de Doctorat, EPAU.

7. Khédidja BOUFENARA, Le rôle du Génie militaire dans la production des villes coloniales en Algérie. Annaba et Constantine, thèse doctorat, univ mantouri constontine,
8. Paul iocna-prat, le patrimoine culturel entre le national et local, chances et limites de la décentralisation, thèse de doctorat, université d'angers, 2009.
9. Sendicat d'initiative de Tlemcen, Tlemcen et sa région, Imp A Thiriat, toulous, 1921

Site internet:

1. http://data.bnf.fr/10522270/arthur_de_claparede/
2. http://data.bnf.fr/12369180/charles_lallemand/
3. http://www.memoireafriquedunord.net/biog/biog76_Gsell.htm
4. http://www.universalis.fr/encyclopedie/albert-ballu/

الفهارس

فهرس الأعلام

اسم العلم	الصفحة
أبا إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي	19
ابن خلدون عبد الرحمن	66،54،52،50
ابن خلدون يحي	7
ابن دريد	55
أبو المهاجر دينار	10
أبو حمو موسى الأول	96
أبو حمو موسى الثالث	20
أبو حمو موسى الثاني	31،19
أبي بكر بن عمر	12
أحمد بن الحسن الغماري	38،31،28،96
أدريان بيربروجر	78
إدموند دوتوا	113،110،107،104،103،101،100،86،85
أدولف دولامار	78،80،87
آرثر دو كلاباريد	32
ازيدور تايلور	74
أزيما	78
ألبارت بالو	115،90،87،86،85
ألفرد بيل	23
أمابل رافوازيي	88،78
الأمير عبد القادر	37،27،10
أوجين فيوليت لودوك	89
أوجين لوفي	105
أوغست ماني	90

اوغوست لوبغيفوس	74
بربروس	20
بروسبيه ميريميه	74
بلحسن التنسي	29
بيار-أوغيست غيوشان	80،79
بيجو	22
بيزيرا	77
بيمودون	33
تاشفين بن علي	16
تيودور بالو	90
جورج مارسي	36،13
جيروم كاركوبينو	91،86
جيلبار أوبيت لغنجاز	83
دانريمون	78
الدوك دومال	80
دي كزيفوري	78
رشيد بورويبة	26،14،13
روزي	77
ستيفن غزال	92،91،87،86
سيدي مرزوق	101،38،37
شارل بروسلارد	115،30
شارلز مارتين جاك لالموند	31
عثمان بن أرطوغول	20
على بن يوسف بن تاشفين	14
فرونسوا دو جينيور	73
فرونسوا قيزو	74

فيتروفيوس	61
فيزنزاك	74
فيكتور هوغو	73
كاريت	78
كالملز	102
الكسندر لونوار	73
كلوزيل	78،22
الكونت اناتول دو مونتيسكيو	74
لودوفيك فيتيه	74
لوسين قولفن	14،13
لوفابفر	102،101
لويس ماجورال	83
مارسال كريستوف	85
محمد الطمار	36،35
محمود يخو محمد بن تومرت	16
المرشال سول	77
مسلمة بن مخلد الأنصاري	10
موه	57
هامون	99
هيبوليت لو با	80
وأوجان ألبيرت	86
يغمراسن بن زيان	19،18
يوسف بن تاشفين	14،13،12

فهرس الجداول:

الجدول رقم 01:جدول موه .....ص 57

فهرس الخرائط:

الخارطة رقم 01: موقع ولاية تلمسان في خارطة الجزائر الإدارية.....ص 123

الخارطة رقم 02: موقع بلدية تلمسان في ولاية تلمسان.....ص 123

فهرس المخططات:

المخطط رقم 01: الفترات التي تعاقبت على حكم تلمسان.....ص11

المخطط رقم 02: مخطط جامع بتلمسان الكبير في بدايته خلال العهد المرابطي.....ص15

المخطط رقم 03: الجامع الكبير وما يحيط به.....ص97

المخطط رقم 04: موقع الميضأة المهدمة في مخطط للمهندس دوتوا سنة 1873.....ص113

المخطط رقم 05: إعادة تصور لتاقرارت في العهد المرابطي.....ص 125

المخطط رقم 06: إعادة تصور لتلمسان في العهد الموحدي.....ص 125

المخطط رقم 07: إعادة تصور لتلمسان في العهد الزياني .....ص 126

المخطط رقم 08: تلمسان في العهد العثماني.....ص 126

المخطط رقم 09: تلمسان في العهد استعمار الفرنسي سنة 1845.....ص 127

المخطط رقم 10: المخطط العام للجامع الكبير بتلمسان.....ص 128

فهرس الأشكال:

الشكل رقم 01: أفران حرق الجص ص56

الشكل رقم 02 : تقنيات تقطيع الخشب وصنع العوارض ص60

الشكل رقم 03 : تقنية بناء الأساسات ص62

الشكل رقم 04 : تقنية أدية وشناوي.....ص63

الشكل رقم 05 : التقنية المزدوجة.....ص64

الشكل رقم06 : تقنية السنبلة.....ص65

الشكل رقم 07: تقنية السافات العمودية.....ص65

الشكل رقم 08: التقنية المتناوبة.....ص66

الشكل رقم 09 : تقنية البناء بالتراب المدكوك ص67

الشكل رقم 10: تقنية بناء العقود ص69

الشكل رقم 11: أشكال تقنيات التسقيف ص70

الشكل رقم 12: زخارف قبة المقصورة.....ص104

الشكل رقم 13: المواضيع الزخرفية بالجامع الكبير
بتلمسان.....ص130

فهرس اللوحات:

اللوحة رقم 01: موقع الدكاكين في الواجهة الرئيسية للجامع الكبير ص98

اللوحة رقم 02: صحن الجامع الكبير خلال سنتي 1890و 1833م ص108

اللوحة رقم 03: أماكن تضرر وترميم مئذنة الجامع الكبير في الفترة الاستعمارية.....ص112

اللوحة رقم 04: مئذنة الجامع الكبير بعد قصفها بمدفعية المشور ص132

اللوحة رقم 05: الجهات الأربعة للجامع الكبير ص133

اللوحة رقم 06: مداخل الجامع الكبير.....ص134

اللوحة رقم 07: بيت الصلاة.....ص135

اللوحة رقم 08: الأعمدة والدعامات والأقواس.....ص136

اللوحة رقم 09: محراب الجامع الكبير.....ص137

اللوحة رقم 10: سقف الجامع الكبير.....ص138

اللوحة رقم 11: صحن الجامع الكبير.....ص139

اللوحة رقم 12: مئذنة الجامع
الكبير.....ص140

اللوحة رقم 13: قبة التي تتقدم المحراب.....ص141

اللوحة رقم 14: نوافذ
المحراب.....ص142

اللوحة رقم 15: Le triomphe de Neptune et
d'Amphitrite.....ص143

اللوحة رقم16: من أعمال رافوازي في عنابة ص144

اللوحة رقم17: من أعمال رافوازي في سكيكدة
.....ص145

اللوحة رقم18: تفاصيل زخارف بعض العناصر المأخوذة من الجامع الكبير
بتلمسان.....ص146

اللوحة رقم17: بعض معالم تلمسان من تقديم إدموند دوتوا ص147

رفوعات من جامع المنصورة بتلمسان من طرف إدموند موتوا ص148

اللوحة رقم 21: كاتدرالية و محطة قطار وهران ص149

اللوحة رقم 22: ضريح سيدي مرزوق.....ص150

اللوحة رقم 23: بيت الصلاة مع الحصير ص151

فهرس الصور:

الصورة رقم 07: حدود الجامع الكبير ص153

الصورة رقم 08: طريق الوصول إلى الجامع الكبير.....ص153

فهرس النصوص:

الجزء الأول من نص الكتابة على اللوحة التذكارية.....ص155

الجزء الثاني من نص الكتابة على اللوحة التذكارية.....ص156

الجزء الثالث من نص الكتابة على اللوحة التذكارية ص157

فهرس الموضوعات:

إهداء

كلمة شكر

مقدمة.....ص أ-د

الفصل التمهيدي: وضعية جامع تلمسان قبل الاحتلال الفرنسي

تمهيد.....ص6

نبذة عامة حول مدينة تلمسان ص7

الموقع الجغرافي والفلكي لمدينة تلمسان.....ص7

مناخ مدينة تلمسان.....ص8

التطور التاريخي لمدينة تلمسان.....ص9

تلمسان في العهد المرابطي ص12

دولة المرابطين: ص12

الجامع الكبير في عهد المرابطين.....ص13

تلمسان في العهد الموحدي ص16

الدولة الموحدية: ص16

الجامع الكبير في العهد الموحدي.....ص17

تلمسان في العهد الزياني ص18

تأسيس الدولة الزيانية.....ص18

الجامع الكبير في العهد الزياني.....ص19

تلمسان في العهد العثماني.....ص20

الدولة العثمانية.....ص20

الجامع الكبير في العهد العثماني.....ص21

الأضرار المعمارية التي لحقت بالجامع في بداية الاحتلال الفرنسي.....ص22

خلاصة الفصل.....ص24

الفصل الأول :جامع مدينة تلمسان في الوقت الراهن

تمهيد.....ص26

ضبط الموقع.....ص27

الإحداثيات الجغرافية والفلكية.....ص27

الامتداد.....ص27

الحدود.....ص27

المساحة.....ص29

طريق الوصول.....ص29

وصف الجامع الكبير في نظر بعض المؤرخين.....ص30

وصف شارل بروسلارد ص30

وصف شارلز مارتين جاك لالموند ص31

وصف آرثر دو كلاباريا د ص32

وصف بيمودون قائد القوات في ناحية وهران وتلمسان.....ص33

وصف المستشرق جورج مارسي ص35

وصف محمد

الطمار.....ص35

وصف الجامع الكبير.....ص37

الجهات الأربعة.....ص37

الوصف الخارجي.....ص37

مداخل الجامع.....ص38

الوصف الداخلي.....ص38

بيت الصلاة ص38

الصحن ص40

المئذنة.....ص41

البرج الكبير أو البدن.....ص41

البرج الأصغر أو الجوسق.....ص42

زخارف الجامع الكبير.....ص43

مناطق الانتشار.....ص43

تقنيات التنفيذ.....ص45

المواضيع الزخرفية.....ص45

الطراز الفني.....ص46

خلاصة الفصل.....ص47

الفصل الثاني :مواد وتقنيات البناء في الجامع الكبير بتلمسان

تمهيد.....ص49

مواد البناء.....ص50

الحجارة.....ص50

الطابية.....ص52

الملاط.....ص54

الآجر ص54

الجص.....ص55

الخشب.....ص58

مواد أخرى.....ص60

تقنيات البناء.....ص60

الأساسات.....ص61

الجدران.....ص62

نظم الدعم والتسقيف

.....ص67

خلاصة الفصل.....ص71

الفصل الثالث :صيانة وترميم المعالم التاريخية في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي

تمهيد ص73

تطور مفهوم وأغراض ترميم المعالم التاريخية لدى إدارة الاحتلال

الفرنسي.....ص74

ترميم المعالم التاريخية بالجزائر في ظل مصلحة الجسور
والطرقات.....ص75

ترميم المعالم التاريخية بالجزائر في ظل مصلحة المباني
المدنية.....ص80

ترميم المعالم التاريخية بالجزائر في ظل مصلحة المعالم
التاريخية.....ص84

أهم الشخصيات الفرنسية في مجال التراث المبني بالجزائر في الفترة الاستعمارية.....ص86

أدولف دولامار ص87

أمابال رافوازيه ص88

إدموند ديتوا ص89

ألبرت بالو ص90

ستيفن غزال ص91

أثر الترميم الفرنسي على أصالة المعالم التاريخية
بالجزائر.....ص92

خلاصة الفصل.....ص93

الفصل الرابع:الإضافات والتعديلات المعمارية الفرنسية على الجامع الكبير بتلمسان

تمهيد.....ص95

أشغال تهيئة محيط الجامع.....ص96

التدخلات على السور الخارجي للجامع.....ص99

التدخلات على ضريح سيدي مرزوق.....ص101

أشغال صيانة و ترميم بيت الصلاة وقلع
المقصورة.....ص101

نافذة المحراب (إفريز المحراب).....ص105

أشغال تهيئة الصحن.....ص107

أشغال التدخلات على المئذنة.....ص110

هدم الميضأة الأصلية وتعويضها بأخرى.....ص113

أشغال إعادة بناء المحكمة ص114

خلاصة الفصل.....ص116

الخاتمة.....ص117

الملاحق.....ص121

الخرائط.....ص122

المخططات.....ص124

الأشكال.....ص129

اللوحات.....ص131

الصور ص152

النصوص.....ص154

ثبت المصادر والمراجع.....ص158

الفهارس.....ص173

فهرس الأعلام.....ص174

فهرس الجداول.....ص177

فهرس الخرائط.....ص177

فهرس المخططات.....ص177

فهرس الأشكال.....ص178

فهرس اللوحات.....ص179

فهرس الصور ص181

فهرس النصوص.....ص181

فهرس الموضوعات.....ص182

الملخص:

يعد الجامع الكبير بمدينة تلمسان صرحا دينيا مهما، ومن روائع الفن المعماري المرابطي، عرف عبر مراحله التاريخية المتعاقبة العديد من الإضافات والتعديلات، لعل أبرزها من الناحية الفنية المعمارية تلك التي طرأت عليه في الفترة الزيانية، رغم اختلاف وجهات النظر بين المؤرخين حول الأسباب والخلفيات من وراء تلك التدخلات سواء كانت فكرية أو عقائدية، كبقية المعالم التاريخية في الجزائر عامة وتلمسان خاصة، شهد الجامع الكبير خلال فترة الاحتلال الفرنسي العديد من الإضافات والتعديلات، لكن الكثير منها أغفل من طرف الباحثين، رغم أنها في بعض الأحيان شكلت تغيرا كبيرا من حيث الهيكل والمخطط العام للجامع، وبتبريرات متعددة صبت أغلبها في خانة تغيير مدينة تلمسان وتحويلها إلى مدينة أوروبية بإعداد مخططات جديدة لها، رغم هذا لا يمكن إنكار الإيجابيات الناتجة عن تلك التغييرات إذ يمكن أن نطلق عليها عمليات ترميمية للجامع، نظرا لما كان يعانيه من عوامل تدهور وخاصة في محيطه الخارجي، الأمر الذي أثبتته التقارير الأولى لبداية الاحتلال الفرنسي للمدينة.

الكلمات المفتاحية: تلمسان، الجامع الكبير، المرابطون، الإضافات والتعديلات، الاحتلال الفرنسي، الترميم.

Résumé :

La grande mosquée de Tlemcen est considéré comme un édifice religieux très important , c'est l'une des merveilles de l'architecture Almoravide , et qui a connu à travers plusieurs périodes historiques plusieurs modifications et additions , cependant celle qui est la plus considérable du côté artistique , c'est bien celle qu'elle a connu à l'époque Zeiyanides .

Malgré les différents avis des historiens sur les causes et les tendances des interventions culturels ou religieuses qu'elle l a connu. Comme tout les monuments historiques algériens et à Tlemcen spécialement , la grande mosquée a connu durant l'époque coloniale Française plusieurs additions et modifications , mais qui n'ont pas été cité par les chercheurs , malgré qu'elles ont changé énormément l'aspect et le plan de la mosquée , sous prétexte de changer ville de Tlemcen en une ville européenne par de nouveau plans .

Cependant , nous ne pouvons négliger les résultats positives de ces modifications qu'ont peut appeler des opérations de rénovations de la mosquée . vu l'état de dégradation qu'elle a connu surtout dans son périmètre extérieur , chose qui a été prouvé par les premiers rapports du début de la colonisation Française à la ville .

Mots clefs : Tlemcen – la grande mosquée - les Almoravides - les modifications et les additions - la colonisation Française - la rénovation .

Abstract :

The great mosque of Tlemcen is considered as a religious monument which has a great importance , it is a wonderful edifice of Almoravide's architecture , which has known towards several historical periods different modifications and additions , but the most considerable from the artistic side is these of Zeiyanides dynasty .

Even the different point of view of historian on the causes and the tendencies on the cultural or religious interventions that this monument has known . as all Algerian historical monuments , and in Tlemcen especially , the great mosque during the French colonial period , has known many additions and modifications that were not cited by the historians . the plan and the aspect of the mosque have deeply changed , by pretext of changing Tlemcen to a European town with new plans . but we cannot ignore the positive results of these modifications which we can call renovation operations of the mosque , because of the state of degradation in the close outside of the mosque . this was proved by the articles of the beginning of the French colonization of Tlemcen .

Keywords: Tlemcen – the great mosque – the Almoravide's – the modifications and the additions - the French colonization – the renovation .